النذير العريان والطريق إلى الرحمن

التوحيد

الخوارج شر الخليقة

نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة

جماعة أنصار السنة المحمدية

وسطية أهل السنة في مسائل الاعتقاد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ◆ العدد ٥٣١ السنة الخامسة والأربعون - ربيع الأول ١٤٣٧ هـ ◆
الثمن جنيهان

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق

التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM
المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

السلام عليكم

تعظيم قدر الصلاة

بقدر ما تتعدل صلاتك تتعدل حياتك، وبقدر ما تصلح صلاتك يصلح سائر عملك الذي يكون عليه جزاؤك.

ألم تعلم أن الصلاة اقترنت بالفلاح؟ ففي النداء الشريف: «حي على الصلاة، حي على الفلاح»، فكيف تطلب من الله الفلاح وأنت لحقه عليك غير مجيب؟! إذا هانت عليك صلاتك فما الذي يعز عليك؟!

يُحْكى أن فأرةً رأت جَمَلاً فأعجبها، فَجَرَّت خُطَامه (حَبْلَهُ) فَتَبِعَهَا، فلما وصلت إلى باب بيتها وقفت متحيرة، ووقف الجَمل متأملاً؛ لصغر باب بيت الفأرة وحجمه الكبير جداً، وقال للفأرة: إما أَن تتخذي دارًا تليق بمحبوبك؛ أو تتخذي محبوبًا يليق بدارك. قال ابن القيم رحمه الله بعد أن أورد الأسطورة السابقة في كتابه «بدائع الفوائد» مخاطبًا كل مؤمن ومؤمنة: «إما أن تصلي صلاة تليق بمعبودك، أو تتخذ معبودًا يليق بصلاتك».

فمن تعود على تأخير الصلاة فليتهيأ للتأخير في كل أموره، في الزواج، في الذرية، في العافية، في التوفيق، وآخر ذلك التأخير عن دخول الجنة، فأين سيذهب؟! وأين سيقف إذا أُخِّرَ عن دخول الجنة؟!

التحرير

مفاجأة كبرى
نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحتوي على ٤٣ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٣ سنة كاملة

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

في هذا العدد

الافتتاحية: الرئيس العام ٢
الكلمة الطيبة صدقة: د. عبد العظيم بدوي ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
الإحسان إلى الجار: عبده أحمد الأقرع ١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
منبر الحرمين: د. عبد الرحمن السديس ٢٣
باب العقيدة: د. عبد الله شاكر ٢٧
نظرات في الإجماع ومدونات نقله: محمد عبد العزيز ٣١
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٣٨
باب الفقه: د. حمدي طه ٤٢
مع القصة في كتاب الله: عبد الرزاق السيد عيد ٤٥
الخوارج شر الخليقة: جمال عبد الرحمن ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: أ. د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة: صلاح نجيب الدق ٦١
أصول مكارم الأخلاق وجوامعها: د. عماد عيسى ٦٦
تذكير المسلمين بأهمية قضاء الدَّيْن: المستشار أحمد السيد إبراهيم ٦٩

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٤٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها .الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى .أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

٨٥٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

جماعة أنصار السنة المحمدية

افتتاحية العدد

التذكير بخطورة التكفير

الحلقة الثالثة

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.. وبعدُ:

فقد تحدثت في المقالين السابقين عن ست مسائل تحذر من التكفير أو المسارعة إليه، وأواصل في هذا اللقاء الحديث عن هذا الموضوع، فأقول مستعينًا بالله تعالى سائلاً إياه التوفيق والسداد:

سابعًا: لا بد من تحقق الشروط وانتفاء الموانع لإجراء الأحكام على المخالفين:

لقد وفّق الله أهل السنة إلى التأني والتثبت عند إجراء الأحكام على المكلفين، ولهذا وضعوا هذا الضابط، وهو ضرورة تحقق الشروط وانتفاء الموانع، وكان المقصود من وراء ذلك: التحقق من أهلية المكلف، وصلاحيته الشرعية لإجراء الأحكام عليه، وأبدأ هنا بذكر الشروط المعتبرة في هذا الباب، وهي كما يلي:

١- قيام الحجة على الشخص المعين:

قرر أهل السنة والجماعة أن التكفير لا يكون إلا بعد قيام الحجة، فمن لم يبلغه حكم الله في مسألة من المسائل، فلا يترتب عليه حكم فيها؛ لأن التكليف لا يثبت في حق المكلف إلا بعد بلوغه له، وقد دلت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية على ذلك، ومنه قول الله تعالى: «وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ» (التوبة ١١٥). وقد ذكر الإمام البخاري هذه الآية في الصحيح تحت باب عَنْوَنه بقوله: «باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم»، وقول الله تعالى: «وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ» (التوبة ١١٥)، قال العيني رحمه الله في شرحه: «أشار البخاري بهذه الآية الكريمة إلى أن قتال الخوارج والملحدين لا يجب إلا بعد إقامة الحجة عليهم، وإظهار بطلان دلائلهم والدليل عليه هذه الآية، لأنها تدل على أن الله لا يؤاخذ عباده حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون». (عمدة القاري ١٩/٣٦٩).

وهذا ما فهمه أئمة التفسير من هذه الآية؛ فهذا ابن جرير رحمه الله يقول فيها: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا كَانَ الله لِيَقْضِيَ عَلَيْكُمْ في

اسْتِغْفَارِكُمْ لِمَوتَاكُمُ الْمُشْرِكِينَ بِالضَّلَالِ بَعْدَ إِذْ رَزَقَكُمُ الْهِدَايَةَ وَوَفَّقَكُمْ للإيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِه، حَتَّى يَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ فَتَتْرُكُونَ الانْتِهَاءَ عَنْهُ؛ فَأَمَّا قَبْلَ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ كَرَاهِيَةَ ذَلِكَ بِالنَّهْيِ عَنْهُ ثُمَّ تَتَعَدَّوا نَهْيَهُ إِلَى مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لاَ يَحْكُمُ عَلَيْكُمْ بِالضَّلَالِ». (تفسير الطبري ١١/٣٨).

وقال الشيخ رشيد رضا رحمه الله: «أيْ وَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ اللهِ تَعَالَى فِي حِلْمِه وَرَحْمَتِه وَلاَ مِنْ سُنَنِه فِي خَلْقِه الَّتِي هِيَ مَظْهَرُ عَدْلِه وَحِكْمَتِه أَنْ يَصِفَ قَوْمًا بِالضَّلَالِ، وَيُجْرِيَ عَلَيْهِمْ أَحْكَامَهُ بِالذَّمِّ وَالْعِقَابِ، بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ إِلَى الإيمَانِ، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ بِالإِسْلَامِ، بِمُجَرَّدِ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ صَدَرَ عَنْهُمْ بِخَطَأِ الاجْتِهَادِ، حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، بَيَانًا جَلِيًّا وَاضِحًا لاَ شُبْهَةَ فِيهِ وَلاَ إِشْكَالَ». (تفسير المنار: ١/٦١).

وقال الله تعالى: « مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا » (الإسراء: ١٥)، وقد بينت الآية أن من سنن الله تعالى المبنية على الحكم البالغة ألا يعذب أحدًا إلا بعد إقامة الحجة الرسالية عليه.

قال ابن كثير: «إخبار عن عدله تعالى، وأنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه». (تفسير ابن كثير ٣/٤٢). ولقد أفاد وأجاد في تفسير هذه الآية العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، ومما قال فيها: «ظَاهِرُ هَذِه الآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلاَ لاَ يُعَذِّبُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِه لاَ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَةِ. حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِ رَسُولاً يُنْذِرُهُ وَيُحَذِّرُهُ، فَيَعْصَى ذَلِكَ الرَّسُولَ، وَيَسْتَمِرُّ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ بَعْدَ الإِنْذَارِ وَالإِعْذَارِ.

وَقَدْ أَوْضَحَ جَلَّ وَعَلاَ هَذَا الْمَعْنَى فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَقَوْلِه تَعَالَى: « رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ »(النساء:١٦٥)، فَصَرَّحَ فِي هَذِه الآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنْ لاَ بُدَّ أَنْ يَقْطَعَ حُجَّةَ كُلِّ أَحَدٍ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، مُبَشِّرِينَ مَنْ أَطَاعَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرِينَ مَنْ عَصَاهُمُ النَّارَ.

> **”التكفير لا يكون إلا بعد قيام الحجة، فمن لم يبلغه حكم الله في مسألة من المسائل، فلا يترتب عليه حكم فيها؛ لأن التكليف لا يثبت في حق المكلف إلا بعد بلوغه له.“**

وَهَذِه الْحُجَّةُ الَّتِي أَوْضَحَ هُنَا قَطْعَهَا بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، بَيَّنَهَا فِي آخِرِ سُورَةِ طه بِقَوْلِه: (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ) (طه: ١٣٤).

وَأَشَارَ لَهَا فِي سُورَةِ الْقَصَصِ بِقَوْلِه: (وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (القصص: ٤٧)، وَقَوْلِه جَلَّ وَعَلاَ: (ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ) (الأنعام: ١٣١)، وَقَوْلِه: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ) الآيَةَ (المائدة: ١٩)، وَكَقَوْلِه: (وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ) الآيَةَ (الأنعام: ١٥٥- ١٥٧)، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

وَيُوَضِّحُ مَا دَلَّتْ عَلَيْه هَذِه الآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ وَأَمْثَالُهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مِنْ أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلاَ لاَ يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلاَّ بَعْدَ الإِنْذَارِ وَالإِعْذَارِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، تَصْرِيحُهُ جَلَّ وَعَلاَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ: " بِأَنْ لَمْ يُدْخِلْ أَحَدًا النَّارَ إِلاَّ بَعْدَ الإِعْذَارِ وَالإِنْذَارِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلاَ: « كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ » (الملك :٨-٩).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ قَوْلَهُ جَلَّ وَعَلاَ: «كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ يَعُمُّ جَمِيعَ الأَفْوَاجِ الْمُلْقَيْنَ فِي النَّارِ»».

(أضواء البيان ٣/٤٧٢، ٤٧٣).

وقول الله تعالى: «وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا» (النساء ١١٥). ففي هذه الآية وعيد شديد لمن خالف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، غير أنها اشترطت أن تقع المخالفة بعد البيان، وأن يقف المخالف على الهداية من خلال الوحي الإلهي، وهذا ما فهمه منها أئمة التفسير. قال ابن كثير: «ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عَمْد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له». (تفسير ابن كثير ١/٧٦٢).

وقال الشوكاني في تفسيرها: «المشاقة: المعاداة والمخالفة، وتبين الهدى ظهوره، بأن يعلم صحة الرسالة بالبراهين الدالة على ذلك ثم يفعل المخالفة». (فتح القدير ١/٥١٥).

وقد دلت السنة القولية والعملية على ما دَلَّ عليه القرآن، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ». (مسلم: ١٥٣).

قال القرطبي: «وفيه دليل على أن من لم تبلغه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أمره، لا عقاب عليه ولا مؤاخذة، وهذا كما قال الله تعالى: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا» (الإسراء ١٥)، ومن لم تبلغه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا معجزته فكأنه لم يبعث إليه رسول». (المفهم: ١/٣٦٨).

وقال النووي: «فيه نسخ المِلَل كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم، وفي مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور، وهذا جارٍ على ما تقدم في الأصول أنه لا حكم فيه قبل ورود الشرع على الصحيح، والله أعلم». (شرح النووي على مسلم ٢/١٨٨).

ومن السنة العملية الموضحة لذلك ما رواه البخاري عن الرُّبَيِّع بنت معوذ قالت: «جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ حِينَ بُنِيَ عَلَيَّ فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ: «دَعِي هَذِهِ وَقُولِي بِالَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ». (البخاري: ٥١٤٧).

قال الشافعي «لله تعالى أسماء وصفات لا يسع أحدًا قامت عليه الحجة ردُّها، فإن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالرواية والفكر».

فهذه الجارية نسبت علم الغيب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو صفة لله وحده، ومع هذا لم يحكم عليها بكفر أو غيره بسبب جهلها، واكتفى بنهيها عن ذلك.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ مِنْ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟ " قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ، فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "فَلاَ تَفْعَلُوا، فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللهِ، لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا، وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ، لَمْ تَمْنَعْهُ". (صحيح سنن ابن ماجه: ١/٣١٢).

فهذا معاذ بن جبل سجد للنبي صلى الله عليه وسلم والسجود لغير الله شرك، ومع هذا لم يحكم عليه بشرك أو كفر، وعلى هذا جرى المحققون من علماء أهل السنة، فلم يطلقوا ألفاظ التكفير قبل البيان وبلوغ الحجة وانتفاء الشبهة.

قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: قال الشافعي «لله تعالى أسماء وصفات لا يسع أحدًا قامت عليه الحجة ردُّها، فإن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالرواية والفكر». قال الألباني: ورواه الهكاري وغيره بإسناد كلهم ثقات. (مختصر

العلو: ١٧٧).

وكلام الشافعي رحمه الله صريح وواضح في اشتراط الحجة، وأن من لم تقم عليه فمعذور بالجهل، وقد قرر هذا أيضًا الإمام ابن تيمية رحمه الله، ونص على أنه لا يجوز تكفير المعين إلا بعد إقامة الحجة الرسالية عليه، وفي هذا يقول: «وإذا عرف هذا فتكفير " المعين " من هؤلاء الجهال وأمثالهم- بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار- لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر. وهكذا الكلام في تكفير جميع " المعينين " مع أن بعض هذه البدعة أشد من بعض وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض قال بن تيمية : فليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة. ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك ؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وازالة الشبهة». (مجموع الفتاوى ١٢/٥٠٠، ٥٠١).

وبهذا يظهر أن التكليف لا يكون إلا بالشرع، وأنه لا يثبت في حق المكلف التكليف إلا بعد بلوغه له ووقوفه عليه، وهذا هو الراجح من أقوال أهل العلم. يقول ابن تيمية: «وأصل هذا: أن حكم الخطاب ؛ هل يثبت في حق المكلف قبل أن يبلغه؟ فيه ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره. قيل: يثبت. وقيل: لا يثبت، وقيل: يثبت المبتدأ دون الناسخ. والأظهر أنه لا يجب قضاء شيء من ذلك، ولا يثبت الخطاب إلا بعد البلاغ، لقوله تعالى «لأنذركم به ومن بلغ» وقوله: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا» (الإسراء ١٥) ولقوله: «لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» (النساء:١٦٥)، ومثل هذا في القرآن متعدد، بين سبحانه أنه لا يعاقب أحدًا حتى يبلغه ما جاء به الرسول. ومن علم أن محمدًا رسول الله فآمن بذلك، ولم يعلم كثيرًا مما جاء به لم يعذبه الله على ما لم يبلغه، فإنه إذا لم يعذبه على ترك الإيمان بعد البلوغ، فإنه لا يعذبه على بعض شرائطه إلا بعد البلاغ أولى وأحرى. وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المستفيضة عنه في أمثال ذلك. فإنه قد ثبت في الصحاح أن «طائفة من أصحابه ظنوا أن قوله تعالى «الخيط الأبيض من الخيط الأسود» هو الحبل الأبيض من الحبل الأسود، فكان أحدهم يربط في رجله حبلا، ثم يأكل حتى يتبين هذا من هذا فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد بياض النهار، وسواد الليل، ولم يأمرهم بالإعادة». (مجموع الفتاوى ٢٢/٤١، ٤٢).

> قال ابن تيمية : فليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تُقام عليه الحجة وتبين له المحجة.

وقد طبَّق ابن تيمية هذا المنهج الذي ذكره في كتبه، فكان من أبعد الناس عن تكفير المسلمين، بل كان يحذر من ذلك وينهى عنه، وفي ذلك يقول: «هذا مع أني دائمًا ومن جالسني يعلم ذلك مني: أني من أعظم الناس نهيًا عن أن يُنسَب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرًا تارة وفاسقًا أخرى وعاصيًا أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية. وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا معصية... وكنت أبين لهم أنما نقل لهم عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضًا حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين». (مجموع الفتاوى: ٣/٢٢٩، ٢٣٠).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الكلمة الطيبة صدقة

إعداد/ **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

عَنْ عَدىً بْنِ حَاتم رضي الله عنه أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بوَجْهه فتعوَّذَ منْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بوَجْهه فتعوَّذَ منْها، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بشقِّ تَمْرَة، فَمَنْ لَمْ يَجدْ فَبكَلمَة طَيِّبَة». (صحيح البخاري (٦٠٢٣). وانظر شرحه في الأدب النبوي (ص: ١٢٤).

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم النار وسعيرها وشررها، وتمثلها أمامه كأنه يراها رأي العين، «فَأَشَاحَ بوَجْهه» أي: أعرض بوجهه عنها مُتَكَرِّهًا لها، كأن لفحها يكاد يصل إليه، فحوَّل عنها وجهه، «فَتَعَوَّذَ منْهَا» أي: قال: أعوذ بالله من النار، أي: ألجأ إليه، وأتحصن به من شرها وهولها، ثم ذكرها مرة أخرى فصنع مثل ما صنع في الذكرى الأولى.

إن النارحرُّها شديد، وقعرُها بعيد، ومأوها صديد، قال تعالى: (وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ) (إبراهيم ١٥- ١٧).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم إذْ سَمعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالَ: قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: هَذَا حَجَرٌ رُميَ به في النَّار مُنْذُ سَبْعينَ خريفًا فَهُوَ يَهْوي في النَّار الآنَ حَتَّى انْتَهَى إلَى قَعْرهَا». (صحيح مسلم ٢٨٤٤).

وَعَنْهُ رضي الله عنه أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «نَارُكُمْ هَذه الَّتي يُوقدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ منْ سَبْعينَ جُزْءًا منْ حَرِّ جَهَنَّمَ. قَالُوا: وَالله إنْ كَانَتْ لَكَافيَةً يَا رَسُولَ الله! قَالَ: فَإنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بتسْعَة وَستِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مثْلُ حَرِّهَا». (صحيح البخاري ٣٢٦٥).

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين باتقاء النار، فقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ) (آل عمران ١٣٠و١٣١)، وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ

أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحريم ٦).

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم بأمته رءوفًا رحيمًا، حريصًا على سعادتها، ووقايتها مما يضرها، فقد أرشدها إلى ما تتقي به النار، وتنأى به عن هول الجحيم، فقال صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ اسْتَتِري مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ». (صحيح الترغيب والترهيب؛٨٦٥).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم في أَضْحَى- أَوْ فِطْرٍ- إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ». فَقُلْنَ وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّه؟! قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ». (صحيح البخاري ٣٠٤).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ الله في ذكر فوائد الحديث: وَفِيهِ أَنَّ الصَّدَقَةَ مِنْ دَوَافِعِ الْعَذَابِ لأَنَّهُ أَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ ثُمَّ عَلَّلَ بِأَنَّهُنَّ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ لِمَا يَقَعُ مِنْهُنَّ مِنْ كُفْرَانِ النِّعَمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. (فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٦٨)).

والصَّدقَةُ هي ما يُخْرِجُهُ الإنسانُ من ماله على وجْه القُرْبَة كالزَّكاة، لكنَّ الصَّدقةَ في الأصْلِ تُقَالُ للمتطوَّع به، والزَّكاة للواجب.

وهي في اللُّغة مُشْتَقَّةٌ من الصِّدْق لأَنَّها تدلُّ على صِدْقِ العبُوديَّة لله تعالى(نضرة النعيم(٦/٢٥١٧)).

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ» (صحيح مسلم ٢٢٣).

والبُرهَانُ هو الشُّعاعُ الذي يلي وجْهَ الشَّمس، ومنْهُ سُمِّيت الحُجَّةُ القَاطِعَةُ بُرْهَاناً لوضُوحِ دلالَتِها على ما دلَّت عليه، فكذا الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ على صحَّة الإيمان، وسَبَبُ ذلكَ أَنَّ المالَ تُحبُّه النُّفوسُ وتبخلُ به، فإذا سَمحَتْ بإخْراجِه لله عزَّ وجلَّ دلَّ ذلكَ على صحَّةِ الإيمانِ بالله ووَعْده ووَعيده. (جامع العلوم والحكم (١٩١)).

وقد أمر اللهُ النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ الصدقات فقال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) (التوبة ١٠٣و١٠٤).

وحث سبحانه عليها ورغب فيها فقال: (إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) (الحديد ١٨)

وقال تعالى (وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الأحزاب ٣٥).

وقال تعالى: (إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (البقرة ٢٧١).

وقال تعالى: (يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (البقرة ٢٧٦).

وحث سبحانه وتعالى على المبادرة بالصدقة قبل فوات الأوان فقال: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ)(المنافقون ٩و١٠و١١).

وكذلك حث النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة ورغب فيها:

عَنْ يَزِيدَ بْنَ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ أَبَا الْخَيْرِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامرٍ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ» (صحيح سنن ابن ماجه ٤٣٨٦). أَوْ قَالَ «يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ». قَالَ يَزِيدُ وَكَانَ أَبُو الْخَيْرِ لاَ يُخْطِئُهُ يَوْمٌ إِلاَّ تَصَدَّقَ فِيهِ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَعْكَةً أَوْ بَصَلَةً أَوْ كَذَا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّه تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ» وذكر منهم «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» (صحيح البخاري ٦٦٠).

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعْبُدُ اللَّه وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ». ثُمَّ

قَالَ: «أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ». (صحيح سنن الترمذي :٢٦١٦).

ومَعناهُ أنَّ الإنسانَ إذا أذنبَ ذنباً ثم تصدَّق فإنَّ الصَّدقةَ تمحو هذا الذَّنب، وتكفِّر هذه السَّيِّئةَ، وتحطُّ هذه الخطيئةَ، إذا كانَتْ فيما بيْنَه وبيْنَ الله، وإذا كانت بَيْنَه وبيْنَ النَّاس فإنَّ ذا الحقِّ من النَّاس يأخذُ حقَّه يومَ القيامة من ثَواب هذه الصَّدقة، وقد قال تعالى: (وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ) (هود ١١٤). وقال صلى الله عليه وسلم: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا» (صحيح الترمذي: ١٩٧٨). وحَسَنةُ الصَّدقة من أفضل الحسنات.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِه». (صحيح الترغيب والترهيب:٨٧٣).

وعَنْ مُطَرِّف عَنْ أَبيه رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقْرأ (أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ) (التكاثر ١)، قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي! وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إلاّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ». (صحيح مسلم ٢٩٥٨).

وكان صلى الله عليه وسلم يحث على الصدقة قبل فوات أوانها:

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَة أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إذَا بَلَغَت الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ». (صحيح البخاري ١٤١٩).

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» إشارة إلى أن قليل المال- ممن لا يستطيع غيره إذا أعطاه بطيب نفس وإخلاص قلب- كثيرٌ عند الله، فهو سبحانه يربي التمرة الصغيرة بل شقها حتى تكون كالجبال الشامخة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إلاَّ الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِه ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِه كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ».(صحيح مسلم ١٠١٤).

فلا تحقرن المعروف وإن قلّ، ولا تستقل الصدقة وإن كانت بشق من تمرة، أو قطعة من رغيف، فربما سدت حاجة من جائع، بل ربما أنقذت نفسا أشرفت على الهلاك، وقد ذمّ الله من عاب جماعة بقلّة ما بذلوا وهو منتهى جهدهم وغاية وسعهم، فقال: (ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (التوبة ٧٩).

عَنْ أبي مَسْعُود رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَة كُنَّا نُحَامِلُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِير فَقَالُوا مُرَائِي. وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ فَقَالُوا إنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا. فَنَزَلَتِ الآيَةَ.

وَعَنْ عُرْوَةَ أَنَّ عَائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئاً غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إيَّاهَا فَأَخَذَتْهَا فَشَقَّتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئاً ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ هيَ وَابْنَتَاهَا، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى تَفِيئَة ذَلكَ فَحَدَّثْتُهُ حَديثَهَا فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن ابْتُلِيَ مِنْ هَذه الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إلَيْهِنَّ كُنَّ سِتْراً لَهُ مِنَ النَّارِ». (صحيح البخاري ١٤١٨).

فصدقة المال نافعة، ومن النار واقية، جلّت أو قلّت، ما دام ذلك الجهد.

فإن لم يجد المرء ما يمد به يده للسائل والمحروم فليحرك لسانه وليتكلم بالكلم الطيب، قال تعالى: (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) (البقرة ٢٦٣).

فمن ردّ السائل بالقول الجميل، أو وعده العطاء عند اليسار كان له ذلك صدقة (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا) (الإسراء ٢٨).

وحضّ أهل اليسار على إطعام المسكين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس، كل ذلك صدقات، فإن أعوزك المال فلن يعوزك اللسان، قال تعالى: (لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء ١١٤).

قَالَ ابن بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّه: طيبُ الْكَلَامِ مِنْ جَلِيلِ عَمَلِ الْبِرِّ لِقَوْله تَعَالَى: (ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) (المؤمنون ٩٦)، وَالدَّفْعُ قَدْ يَكُونُ بِالْقَوْلِ كَمَا يَكُونُ بِالْفِعْلِ.

وَوَجْهُ كَوْن الْكَلمَة الطَّيِّبَة صَدَقَةً أَنَّ إعْطَاءَ الْمَالِ يَفْرَحُ به قَلْبُ الَّذي يُعْطَاهُ وَيَذْهَبُ مَا فِي قَلْبِه، وَكَذَلكَ

الْكَلاَمُ الطَّيِّبُ فاشتبها من هَذِه الْحَيْثِيَّة. (فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٤٨و٤٤٩)).

وتتأكد الكلمة الطيبة في الدعوة إلى الله والحوار والمناظرة، فقد قال الله تعالى: (وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا) (الإسراء ٥٣).

قَالَ الرازي : «لَمَّا ذَكَرَ الْحُجَّةَ الْيَقِينِيَّةَ فِي إِبْطَالِ الشِّرْك وَهُوَ قَوْلُه : (قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا) (الإسْرَاء : ٤٢) وَذَكَرَ الْحُجَّةَ الْيَقِينِيَّةَ فِي صحَّة الْمَعَاد وَهُوَ قَوْلُهُ : (قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) (الإسْرَاء : ٥١) قَالَ فِي هَذه الآيَة وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لعبَادي: إِذَا أَرَدْتُم إِيرَادَ الْحُجَّة عَلَى الْمُخَالِفِينَ فَاذْكُرُوا تلْكَ الدَّلاَئلَ بالطَّرِيق الأَحْسَنِ . وَهُوَ أَنْ لاَ يَكُونَ ذكْرُ الْحُجَّة مخْلُوطا بالشَّتْم وَالسَّبِّ ، وَنَظِيرُ هَذه الآيَة قَوْلُهُ : (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ) (النَّحْل : ١٢٥) وَقَوْلُه : (وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) (الْعَنْكَبُوت : ٤٦) وَذَلكَ لأَنَّ ذكْرَ الْحُجَّة لَو اخْتَلَطَ بِه شَيْءٌ منَ السَّبِّ وَالشَّتْم لَقَابَلُوكُمْ بمثْله كَمَا قَالَ : (وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ) (الأَنْعَام : ١٠٨) وَيَزْدَادُ الْغَضَبُ وَتَتَكَامَلُ النَّفْرَةُ وَيَمْتَنِعُ حُصُولُ الْمَقْصُود ،أَمَّا إِذَا وَقَعَ الاقْتصَارُ عَلى ذكْر الْحُجَّة بالطَّرِيق الأَحْسَنِ الْخَالي عَنِ الشَّتْم وَالإِيذَاء أَثَّرَ فِي الْقَلْب تَأْثيرًا شَديدًا فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ منْ قَوْله : (وَقُلْ لعبَادي يَقُولُوا الَّتي هيَ أَحْسَنُ) ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى نَبَّهَ عَلَى وَجْه الْمَنْفَعَة فِي هَذَا الطَّرِيق فَقَالَ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ) جَامعًا للْفَرِيقَيْن أَيْ : مَتَى صَارَت الْحُجَّةُ مَرَّةً مَمْزُوجَةً بالْبَذَاءَة صَارَتْ سَبَبًا لثَوَرَان الْفتْنَة. ثُمَّ قَالَ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ للإنْسَان عَدُوًّا مُبينًا) وَالْمَعْنَى : أَنَّ الْعَدَاوَةَ الْحَاصلَةَ بَيْنَ الشَّيْطَان وَبَيْنَ الإِنْسَان عَدَاوَةٌ قَديمَةٌ». (التفسير الكبير(٢٠/ ٢٣٠)).

وإذا كان هذا ما أمرنا الله به مع من خالفنا في الدين، أفلا يكون الموافق لنا فيه أولى بأن تكون دعوتنا له ومناظرتنا له بالتي هي أحسن، مهما خالفنا في بعض المذاهب والمسائل والآراء؟! وما أحسن تلك الكلمة الطيبة التي قالها أحد العلماء الربانيين في الوصية للمختلفين بالرفق واللين: رفقا أهل السنة بأهل السنة!! (رسالة صغيرة الحجم كبيرة النفع،كتبها سماحة الشيخ عبد المحسن العباد-حفظه الله-).

ويدخل في الكلم الطيب ذكر الله، بل هو أصل الكلم الطيب:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى منْ أَحَدكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَة صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْميدَة صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْليلَة صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَة صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بالْمَعْرُوف صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَن الْمُنْكَر صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ منْ ذَلكَ رَكْعَتَان يَرْكَعُهُمَا منَ الضُّحَى» (صحيح مسلم ٧٢٠).

كما يَدْخُلُ فيهَا السَّلاَمُ، وَتَشْميتُ الْعَاطس، والقراءة لمَنْ لاَ يُطيقُ الْكَلاَمَ، إمَّا لآفَة في لسَانه، أَوْ لعُجْمَة في لُغَته، أو علة في بصره.

فأكثروا-عباد الله- من ذكر الله كما أمركم، واعلموا أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إنَّ الله اصْطَفَى منَ الْكَلاَم أَرْبَعاً: سُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله، وَلاَ إلَهَ إلاَّ الله، وَالله أَكْبَرُ. فَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ الله كَتَبَ الله لَهُ عشْرينَ حَسَنَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ عشْرينَ سَيِّئَةً. وَمَنْ قَالَ الله أَكْبَرُ فَمثْلُ ذَلكَ، وَمَنْ قَالَ لاَ إلَهَ إلاَّ الله فَمثْلُ ذَلكَ، وَمَنْ قَالَ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ منْ قبَل نَفْسه كُتبَتْ لَهُ ثَلاَثُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّ عَنْهُ ثَلاَثُونَ سَيِّئَةً». (صحيح الترغيب والترهيب:١٥٥٤).

والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد والعاملون بالمركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية بخالص العزاء للأستاذ جمال سعد حاتم، رئيس التحرير، في وفاة شقيقته. نسأل الله تبارك وتعالى أن يتغمدها بواسع رحمته، وأن يلهم أهلها الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

باب التفسير

تفسير سورة الدخان

الحلقة الثانية

قال تعالى: « رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦) ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (١٩) وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣) وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ » (الدخان: ١٢- ٢٤).

إعداد/ **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وبعد:

« رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ »: هَذَا دُعَاؤُهُمْ إِذَا رَأَوُا الْعَذَابَ، وَتِلْكَ عَادَةُ الْمُكَذِّبِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ » (يونس: ٩٦- ٩٧) وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ هَذَا الإيمَانُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: « فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ » (غافر: ٨٤- ٨٥)، وَلِذَلِكَ قَالَ هُنَا: «أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى» أَيْ كَيْفَ تَنْفَعُهُمُ الذِّكْرَى الآنَ «وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ» بَيِّنُ النِّذَارَةِ، بَيِّنُ الدَّلالَةِ، «ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ» أَيْ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَعَمَّا جَاءَ بِهِ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ، وَيَالَيْتَهُمْ حِينَ أَعْرَضُوا عَنْهُ كَفُّوا عَنْ أَذَاهُ، وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوهُ وَاتَّهَمُوهُ، «وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ» يَعْنُونَ أَنَّهُ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: مُعَلَّمٌ، جَلَسَ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الأَوَّلِينَ فَتَعَلَّمَ مِنْهُ، أَوْ مَجْنُونٌ، فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا، فَقَالَ تَعَالَى: « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ » (النحل: ١٠٣):

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ مَا كَانُوا يَقُولُونَهُ مِنَ الْكَذِبِ وَالافْتِرَاءِ وَالْبَهْتِ، أَنَّ مُحَمَّدًا إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ هَذَا الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْنَا مِنَ الْقُرْآنِ بَشَرٌ، وَيُشِيرُونَ إِلَى رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ كَانَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، غُلَامٍ لِبَعْضِ بُطُونِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ بَيَّاعًا يَبِيعُ عِنْدَ الصَّفَا، وَرُبَّمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَجْلِسُ إِلَيْهِ وَيُكَلِّمُهُ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَذَاكَ كَانَ أَعْجَمِيَّ اللِّسَانِ، لا يَعْرِفُ الْعَرَبِيَّةَ، أَوْ أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الشَّيْءَ الْيَسِيرَ بِقَدْرِ مَا يَرُدُّ جَوَابَ الْخُطَّابِ فِيمَا لا بُدَّ مِنْهُ، فَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى رَادًّا عَلَيْهِمْ

فِي افْتِرَائِهِمْ ذَلِكَ: « لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ » (النحل: ١٠٣) أي الْقُرْآنُ، أَيْ فَكَيْفَ يَتَعَلَّمُ مَنْ جَاءَ بِهَذَا الْقُرْآنِ فِي فَصَاحَتِه وَبَلاَغَتِه وَمَعَانِيه التَّامَّة الشَّامِلَة الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ مِنْ مَعَانِي كُلِّ كِتَاب نَزَلَ عَلَى نَبِيٍّ أُرْسِل، كَيْفَ يَتَعَلَّمُ مِنْ رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ؟ لاَ يَقُولُ هَذَا مَنْ لَهُ أَدْنَى مُسْكَة مِنَ الْعَقْلِ. (تفسير القرآنَ العظيم (٢/٥٨٦)).

وَكَذَلِكَ بَرَّأَهُ مِنَ الْجُنُون، فَقَالَ: « فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ » (الطور: ٢٩)، ثُمَّ أَقْسَمَ عَلَى الْبَرَاءَة، فَقَالَ: « نٓ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » (القلم: ١ - ٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ»:

قَالَ الْعُلَمَاءُ: يَقُولُ سُبْحَانَه وَتَعَالَى: لَوْ اسْتَجَبْنَا لَكُمْ، وَرَفَعْنَا عَنْكُمُ الْعَذَابَ، لَرَجَعْتُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَلَمْ تَفُوا بِمَا عَاهَدْتُمُ اللّٰه عَلَيْه مِنَ الإِيمَانِ.

وَهَذَا كَقَوْلِه تَعَالَى: « وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » (الأنعام: ٢٧ - ٢٨).

وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: «إِنَّكُمْ عَائِدُونَ» أَيْ رَاجِعُون إِلَى اللّٰه تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَة، «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى» (النجم: ١١).

«يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ»:

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي اللّٰه عنه: الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَدْ جَمَعَ اللّٰه تَعَالَى بَيْنَ أَوْلِيَائِه الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْدَائِه الْكَافِرِينَ بَعْدَ الْهِجْرَة بِسَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، عَلَى غَيْرِ مِيعَاد، فَنَصَرَ أَوْلِيَاءَهُ عَلَى قِلَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ، وَخَذَلَ أَعْدَاءَهُ عَلَى كَثْرَتِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس رضي اللّٰه عنه: ابْنُ مَسْعُودٌ رضي اللّٰه عنه يَقُولُ: الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَنَا أَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَة. فَعَلَى قَوْلِ ابْنِ عباس رضي اللّٰه عنه يَكُونُ اللّٰه تَعَالَى يَتَوَعَّدُ الْكَافِرِينَ بِيَوْمِ الْقِيَامَة، وَمَا يَنْتَظِرُهُمْ فِيه مِنْ أَهْوَالٍ عِظَام، وَخُطُوبٍ جِسَام، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا » (المزمل: ١٧ - ١٨).

وَالْبَطْشُ مَعْنَاهُ الأَخْذُ بِشِدَّة، قَالَ تَعَالَى: « إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ » (البروج: ١٢)، وَقَالَ تَعَالَى: « وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » (هود: ١٠٢).

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ» أَيْ مِنْ أَعْدَاءِ اللّٰه، الْمُكَذِّبِينَ رَسُولَ اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم، وَلاَ شَكَّ أَنَّ كُلَّ عَذَاب فِي الدُّنْيَا فَهُوَ دُونَ عَذَابِ الآخِرَة، وَكُلَّ أَهْوَالِ الدُّنْيَا دُونَ أَهْوَالِ الآخِرَة، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَة: « فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ » (الفجر: ٢٥-٢٦).

قصة موسى عليه السلام:

«وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّه إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللَّه إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُون (٢٠) وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُون (٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّات وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ

وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُّبِينٌ»:

هَذَا طَرَفٌ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى عليه السلام مَعَ فِرْعَوْنَ، أَرَادَ اللَّه تَعَالَى بِهِ تَسْلِيَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمُوَاسَاتَهُ فِيمَا يَلْقَى مِنْ قَوْمِهِ مِن اضْطِهَادٍ، وَيَسْمَعُ مِنْهُمْ مِنْ أَذًى، وَفِيهِ بِشَارَةٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ بِأَنَّ الْعَاقِبَةَ لَهُمْ كَمَا كَانَتْ لِمُوسَى وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، وَفِيهِ أَيْضًا تَحْذِيرٌ لِلْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ أَنْ يَأْخُذَهُمُ اللَّه كَمَا أَخَذَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا» (المزمل: ١٥- ١٦)، فَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تَعْصُوهُ، حَتَّى لا يَأْخُذَكُمُ اللَّه كَمَا أَخَذَ فِرْعَوْنَ.

«وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ»:

الْفِتْنَةُ مَعْنَاهَا الابْتِلاءُ وَالاخْتِبَارُ وَالامْتِحَانُ، قَالَ تَعَالَى: «أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ» (العنكبوت: ٢- ٣).

وَمَعْنَى: «وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ» أَيِ اخْتَبَرْنَاهُمْ وَامْتَحَنَّاهُمْ بِبَعْثَةِ مُوسَى عليه السلام، «وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ»، كَرِيمٌ فِي نَفْسِهِ، كَرِيمٌ عَلَى رَبِّهِ، فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ» الأَدَاءُ مَعْنَاهُ الدَّفْعُ، قَالَ تَعَالَى: «وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ» (آل عمران: ٧٥) أَيْ يَدْفَعُهُ، وَعِبَادُ اللَّه هُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ» (الشعراء: ١٦- ١٧)، وَقَالَ تَعَالَى: «فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ» (طه: ٤٧)، لأَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ قَدْ بَغَى عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ» (القصص: ٤- ٦)، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّه أَنْ يُنْجِزَ وَعْدَهُ، وَيُنْجِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، أَرْسَلَ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ، وَكَلَّفَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: «أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ»: أَيْ أَمِينٌ عَلَى مَا حُمِّلْتُ مِنْ رِسَالَةِ رَبِّكُمْ إِلَيْكُمْ، فَأَنَا أُبَلِّغُكُمُوهَا بِكُلِّ دِقَّةٍ وَأَمَانَةٍ، مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلا نَقْصٍ، «وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ» أَيْ لا تَسْتَكْبِرُوا، وَلا تَسْتَنْكِفُوا عَنْ عِبَادَةِ اللَّه، «إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» أَيْ بِحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ، وَدَلالَةٍ قَاطِعَةٍ، تَدُلُّكُمْ عَلَى صِدْقِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ، «قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ» (الأعراف: ١٠٦- ١٠٨)، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ كَذَّبُوهُ، «وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا» (نوح: ٧)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾» (غافر: ٢٥- ٢٦)، فَلَمْ يَجِدْ مُوسَى عليه السلام أَمَامَهُ إِلاَّ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّه مِنْ كَيْدِهِمْ، «وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ» (غافر: ٢٧)، وَقَالَ هُنَا: «إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ» أَيِ الْتَجَأْتُ إِلَيْهِ، وَاعْتَصَمْتُ بِهِ، وَهُوَ حَافِظُنِي مِنْكُمْ، وَمَانِعُنِي مِنْ كَيْدِكُمْ.

ثُمَّ تَلَطَّفَ مَعَهُمْ فِي الْحِوَارِ، فَقَالَ: «وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ»

وَلاَ تَقْتُلُونِي، وَخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاس، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنْتُمْ فَلاَ تَمْنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلاَ تَمْنَعُوا النَّاسَ مِنَ الإِيمَان، وَهَذَا مَا دَعَاهُمْ إِلَيْه مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ » (غافر: ٢٨).

وَلَبِثَ فِيهِمْ مَا شَاء الله، وَأَظْهَرَ الله عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الآيَاتِ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِيمَان، وَلَكِنَّ الأَمْرَ كَمَا قَالَ الرَّحْمَنُ: « إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ » (يونس: ٩٦- ٩٧)، قَالَ تَعَالَى: « فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » (الزخرف: ٤٨)، فَلَمْ يَرْجِعُوا، بَلْ صَرَّحُوا بِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيب، فَقَالُوا كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: « وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ » (الأعراف: ١٣٢)، فَلَمْ يَجِدْ مُوسَى عليه السلام بُدًّا مِنَ الدُّعَاء عَلَيْهِمْ، « فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَـٰؤُلاَءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ » مُصِرُّونَ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيب، فَانْتَقَمَ مِنْهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » (يونس: ٨٨- ٨٩).

فَلَمَّا جَاءَ أَجَلُهُمْ أَوْحَى الله تَعَالَى إِلَى مُوسَى: « فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ »

أَيِ اخْرُجْ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ بِاللَّيْل، حَتَّى لاَ يَشْعُرَ أَحَدٌ بِخُرُوجِكُمْ، وَاعْلَمْ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَكُمْ فَيَخْرُجُونَ فِي طَلَبِكُمْ، فَإِذَا جَاوَزْتَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتْرُكِ الْبَحْرَ كَمَا سَلَكْتَهُ، طَرِيقًا يَبَسًا، حَتَّى يَجْتَرِئَ فِرْعَوْنُ عَلَى دُخُوله، فَيَكُونَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِه تَعَالَى: « وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ » أَيْ سَاكِنًا عَلَى حَالَتِه وَهَيْئَتِه، بَعْدَ أَنْ ضَرَبْتَهُ وَدَخَلْتَهُ، مَعْنَاهُ لاَ تَأْمُرْهُ أَنْ يَرْجِعَ، اتْرُكْهُ حَتَّى يَدْخُلَهُ آلُ فِرْعَوْنَ. وَأَصْلُ الرَّهْوِ: السُّكُونُ.

قَالَ قَتَادَةُ -رَحِمَهُ اللهُ-: لَمَّا قَطَعَ مُوسَى الْبَحْرَ وَخَرَجَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل، فَنَظَرَ إِلَى الْبَحْرِ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِه لَمْ يَلْتَئِمْ، فَعَطَفَ لِيَضْرِبَ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ لِيَلْتَئِمَ، وَخَافَ أَنْ يَتْبَعَهُ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، فَقِيلَ لَهُ: اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا كَمَا هُوَ، إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ، أَخْبَرَ اللهُ مُوسَى أَنَّهُ يُغْرِقُهُمْ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبُهُ فِي تَرْكِهِ الْبَحْرَ كَمَا جَاوَزَهُ. (معالم التنزيل: ٥/ ١١٥).

وَكَانَ مَا كَانَ، مِمَّا قَصَّهُ الله تَعَالَى فِي أَكْثَرَ مِنْ سُورَة، قَالَ تَعَالَى: « فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ » (الشعراء: ٦٠- ٦٨)، وَقَالَ تَعَالَى: « وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٩٠) ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٩١) فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ » (يونس: ٩٠- ٩٢).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الإحسان إلى الجار من علامات الإيمان

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعدُ:

إعداد/ **عبده أحمد الأقرع**

فاعلم أخـي- وفقنا الله وإيـاك لما يحبُّه ويرضاه- أن للجار على جاره حقًّا عظيمًا في الأديان كلِّها، والعربُ كانوا يعظِّمون حق الجـار ويـحـترمـون الجـوار في الجاهلية قبل الإسـلام، ويعتزون بثناء الجـار عليهم ويفخرون بذلك، والضعيف إذا جاور الأقوياء صار قويًا بإذن الله، له ما لهم وعليه ما عليهم، وحين جاء الإسلامُ أعزَّهُ وأكد حقَّ الجوار وأنزل فيه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، قـال الله تعالى: «وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا» (النساء: ٣٦)، وجعل الإحسان إلـى الجار عنوان الإيمان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهنَّ أو يُعلم من يعمل بهن؟» فقال أبو هريرة: قلتُ: أنا يا رسول الله. فأخذ بيدي فعد خمسًا، فقال: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك، فإنَّ كثرة الضحك تميتُ القلب». (صحيح الجامع: ١٠٠).

وجعل من علامات الإيمـان بالله واليوم الآخـر كفَّ الأذى عن الجار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخـر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخـر، فليقل خيرًا أو ليسكت». متفق عليه.

وعظَّم الإسلام حق الجار حتى كاد أن يورثه. عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما زال جبريل عليه السلام يُوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». متفق عليه.

وبين أن حُسن الجوار يعمِّر الديار، ويزيد في الأعمار: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلة الرحم، وحُسن الخـلـق، وحُسن الجـوار، يعمران الـديـار، ويزيدان في الأعمار». (أخرجه أحمد: ٦/١٥٩، والصحيحة: ٥١٩).

وجعل الجـار الصالح من السعادة: عن نافع

بن عبد الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سعادة المرء، الجارُ الصالح، والمركبُ الهنيء، والمسكن الواسعُ». (البخاري في الأدب المفرد: ١١٦).

وفي حجة الوداع يوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجار: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته في حجة الوداع يقول: «أوصيكم بالجار» حتى أكثر، فقلتُ: إنه يورِّثه. (صحيح الترغيب: ٢٥٧٣).

كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الصبر على أذى الجار من أسباب محبة الله. عن مُطرِّف- يعني ابن عبد الله- قال: كان يبلغني عن أبي ذر حديث، وكنت أشتهي لقاءه، فلقيته، فقلتُ: يا أبا ذر، كان يبلغني عنك حديث، وكنت أشتهي لقاءك. قال: لله أبوك، لقد لقيتني فهات. قلتُ: حديث بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثك، قال: «إن الله عز وجل يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة». قال: فما إخالني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فقلت: فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل؟ قال: رجل غزا في سبيل الله صابرًا محتسبًا فقاتل حتى قُتل، وأنتم تجدونه عندكم مكتوبًا في كتاب الله عز وجل، ثم تلا: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ» (الصف: ٤).

قلت: ومن؟ قال: «رجلٌ له جارُ سوء يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يكفيه الله إياه بحياة أو موت». (صحيح الترغيب: ٢٥٦٩).

> ”من سعادة المرء: الجارُ الصالح، والمركبُ الهنيء، والمسكن الواسعُ.“

وجعل صلى الله عليه وسلم شهادة الجار يعتدّ بها عند الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من أهل أبيات جيرانه الأدنين أنهم لا يعلمون عنه إلا خيرًا، إلا قال الله تبارك وتعالى: قد قبلتُ قولكم، أو قال: بشهادتكم، وغفرتُ له ما لا تعلمون». (أخرجه أحمد: ٣/٢٤٢، وهو في أحكام الجنائز للألباني ص٤٥).

وبيّن أن الإنسان يعرف نفسه أنه محسن أو مسيء من شهادة الجيران. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجلٌ للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، كيف لي أعلم إذا أحسنت أو أسأت؟ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت، فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت». (صحيح الجامع: ٦١٠).

وفي المقابل نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان عن الذي لا يأمن جاره شره، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن». قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه». يعني: شروره. متفق عليه.

سبحانه الله! يقسم صلى الله عليه وسلم ويكرر القسم ثلاثًا بنفي الإيمان عن الذي لا يأمن جاره شره، ومع هذا يحسبه الكثير هينًا وهو عند الله عظيم. فيا ليت قومي يتذكرون ويكفون، كما بين صلى الله عليه وسلم أنه لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره شره. فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يستقيم إيمانُ عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة حتى يأمن جاره بوائقه». (صحيح الترغيب: ٢٥٥٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبدٌ لا يأمن جاره بوائقه». (صحيح الترغيب: ٢٥٥٥).

الله أكبر! يحرم الإنسان الجنة دار النعيم، دار الخلد، دار المقامة، دار الإسلام، «فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر» من النعيم السرمدي بسبب أذية الجار. على ذلك أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة

عبدٌ لا يأمن جاره بوائقه». فإذا حُـرم الإنسان أغلى سلعة وهي الجنة فماذا يرجو بعد ذلك؟

كما بـيّن صلى الله عليه وسلم صراحةً أنَّ أذى الجار من موجبات دخول النار. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فـلانـه يـذكـر مـن كـثـرة صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في النار». قال: يا رسول الله، فإنَّ فلانة يُذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها، وأنها تتصدق بـالأثـوار (الأشـيـاء القليلة) مـن الأقـط، ولا تـؤذي جيرانها بلسانها، قـال: «هـي في الجنة». (صحيح الترغيب: ٢٥٦٠).

معنى «الأثـوار» جمع ثـور وهي القطعة من الأقط. والأقط: شيء يتخذ من مخيض اللبن الغنمي.

كما بين صلى الله عليه وسلم أن الذنب يعظم إذا ارتكب في حق الجار ويضاعف إثم فاعله.

سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أعظم الذنب عند الله فـذكـر ثـلاث خصـال. قـال: «أن تجعل لله نـدًا وهـو خلقك، وأن تقتل ولـدك خشية أن يطعم معك، وأن تزني بحليلة جارك». متفق عليه.

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «ما تقولون في الزنا؟» قالوا: حرامٌ، حرمه الله ورسـولـه، فهو حـرام إلى يوم القيامة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن يزني الرَّجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جـاره». قال: «ما تقولون في السرقة؟» قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام. قال: «لأنْ يسرق الرجل من عشرة أبيات، أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره». (رواه أحمد: ٨/٦، وصحيح الترغيب: ٢٥٤٩).

> ”اصبر أخي على جارك السوء وصابر، واحذر أن يضيق صدرك عليه فتؤذيه فتأثم.“

فاصبر أخـي على جـارك السوء وصابر، واحذر أن يضيق صدرك عليه فتؤذيه فتأثم. عـن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجـل إلـى رسـول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جـاره، فقال له صلى الله عليه وسلم: «اذهب فاصبر». فأتاه مرتين أو ثلاثًا، فقال: «اذهـب فاطرح متاعك في الطريق». ففعل، فجعل الناس يمرون ويسألونه، فيخبرهم خبر جاره، فجعلوا يلعنونه: فعل الله به وفَعل، وبعضهم يدعو عليه، فجاء جاره فقال: ارجع فإنك لن ترى مني شيئًا تكرهه. (البخاري في الأدب المفرد: ١٢٤).

ويُـروى أن رجـلاً جـاء إلـى ابن مسعود رضي الله عنه، فقال له: إن لي جـارًا يؤذيني ويشتمني ويـضـيـق عـلـيَّ، فـقـال: «اذهـب فـإن هـو عصى الله فيك فأطع الله فيه». (إحياء علوم الدين: ٢/٣١٤).

وقال الغزالي رحمه الله: «وجملة حق الجار: أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب المـاء في ميـزابـه، ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ويستر ما ينكشف لـه مـن عـوراتـه، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلاماً ويغض بصـره عـن حـرمـتـه، ولا يـديم النظر إلـى خـادمـتـه، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه".

وقال أيضًا رحمه الله: "واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى فإن الجار أيضا قد كف أذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الأذى بل لابـد مـن الـرفـق وإسـداء الخير والمـعـروف قـال النبي صلى الله عليه وسلم: «كم من جار متعلق بجاره يقول: يا رب، سل هذا: لمَ أغلق عني بابه ومنعني فضله؟» (صحيح الترغيب: ٢٥٦٤).

فكن أخي خير الجيران فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخـيـر الجـيـران عند الله خـيـرهـم لجـاره». (صحيح الترغيب: ٢٥٦٨).

والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

النذير العريان والطريق إلى الرحمن

الحمد لله الذي أرسل رسوله بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله وسلم وبارك عليه كما وحد الله عز وجل وعرفنا به ودعا إليه ، وبعد:

إعداد/ **د. مرزوق محمد مرزوق**

روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الاعتصام من صحيحه من حديث: أبـي مُوسَى، عَن النَّبيِّ صَلى اللهُ عَليه وسَلمَ قَالَ: "إنَّمَا مَثَلي وَمَثَل مَا بَعَثَني اللَّه به، كَمَثَل رَجُل أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوْم، إنِّي رَأَيْتُ الجَيْش بعَيْنَيَّ، وَإنِّي أَنَا النَّذيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائفَةٌ منْ قَوْمه، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلهمْ، فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائفَةٌ منْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَني فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ به، وَمَثَلُ مَنْ عَصَاني وَكَذَّبَ بمَا جئْتُ به منَ الحَقِّ".

التخريج

رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي (٦٤٨٢) ط الشعب (١٢٦/٨).

ورواه في كتاب الاعتصام باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم (٧٢٨٣) ط الشعب (١١٥/٩) قال حَدَّثنا أَبُـو كُرَيْب، حَدَّثنا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْد، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عن أبي موسى الأشعري، فذكره.

ورواه مسلم في كتاب مناقبه صلى الله عليه وسلم باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم (٢٢٨٥).

تعريف مختصر برجال الإسناد

شيخ البخاري الذي روى عنه البخاري هذا الحديث هو أَبُو كريب: وأبو كريب هوَ مُحَمَّد بِن الْعَلاَء بن كريب الْكُوفِي وَهُوَ شيخ مُسلم أَيْضا، وذكره البخاري في كتاب الرقاق باسمه في كتاب الاعتصام بكنيتة وشيخه في هذا الحديث أَبُو أُسَامَة هو حَمَّاد بن أُسَامَة اللَّيْثِيّ وأبو أسامة يروي عن بريد، وبريد بضَم الْبَاء الْمُوَحدَة مصغر برد ابْن عبد اللَّه بن أبي بردة بضَم الْبَاء الْمُوَحدَة واسْمه عَامر، وَقيل: الْحَارِث، وبريد هَذَا يرْوى عَن جده أبي بردة، وأبو بردة يروي عن أبيه أبي مُوسَى عبد الله بن قيس الأشْعَرِيّ رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ، فيا لها من ذرية مباركة بعضها من بعض

يتوارثون العلم والعبادة (وانظره في الفتح في شرحه للحديث في كتاب الرقاق). فهو من رواية الأبن عن جده عن أبيه.

من مناقب أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

هو الصحابي الجليل عبدالله بن قيس وقد اجتمعت له ولقومه صفة كانتْ علمًا على شخصيتهم جميعًا ألا وهي:رقة قلوبهم: وما أحوجنا إليها في هذه الأيام، وقد شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَنَس بْن مَالك أَنَّ رَسُولَ اللَّه، صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ قَوْمٌ أَرَقُّ منْكُمْ قُلُوبًا»، فَقَدمَ الأَشْعَريُّونَ، وَفيهِمْ أَبُو مُوسَى، فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ الْمُصَافَحَةَ في الإِسْلام، فَجَعَلُوا حينَ دَنَوَ الْمَدينَة يَرْتَجزُونَ وَيَقُولُونَ: غَدًا نَلْقَى الأَحبَّةَ... مُحَمَّدًا وَحزْبَهُ»، أخرجه البخاري.

تواضعه:

ولأن القلب هو قائد الجوارح فنلاحظ انطلاء ذلك على باقي صفاته ولعل هذا مما ظهر على صفاته لما كان أميراً فوجدناه خادماً متواضعاً لا أميرا مخدوماً لما ولاه عمر رضي الله عنه البصرة سنة سبعَ عشرة بعد عزل المغيرة، فجمع أهلها وخطب فيهم قائلاً: "إن أمير المؤمنين عمر بعثني إليكم، أعلمكم كتاب ربكم، وسنة نبيكم، وأنظف لكم طرقكم"، فدهش الناس لأنهم اعتادوا ألا يفقههم الأمير ويثقفهم، لا أن يخدمهم وينظف لهم طريقهم.

أبو موسى والقرآن:

بل ولعل رقة قلبه ظهر أثرها في قراءته للقرآن مع جمال صوته فميزته به فعن أبي بُرْدَةَ عن أبي مُوسَى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي مُوسَى: «لَوْ رَأَيْتَني وأنا أَسْتَمعُ لقرَاءَتكَ البَارحةَ! لَقَد أُوتيتَ مزْمَاراً من مَزَامير آل دَاوُدَ»، (أخرجه مسلم وكان عمر يدعوه للتلاوة قائلاً: "شوقنا إلى ربنا يا أبا موسى).

الخوف من الله

بل وظهرت هذه الصفة في خوفه وعبادته فنجده صواماً من أهل العبادة المثابرين وفي الأيام القائظة كان يلقاها مشتاقًا ليصومها قائلاً: "لعل ظمأ الهواجر يكون لنا ريًا يوم القيامة"، فكان أبو موسى لا تلقاه إلا صائمًا في يوم حار، بل ونجده يجتهد في عبادته حين يضعف الناس في آخر أيامهم ضارباً لنا المثل ودالاً لنا إلى الخير ولمّا قاربت وفاته زادَ اجتهاده، فقيل له في ذلك، فقال: "إنّ الخيل إذا قاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك"، وجاء أجل أبي موسى الأشعري، وكست محياه إشراقة من يرجو لقاء ربه وراح لسانه في لحظات الرحيل يردد كلمات اعتاد قولها دومًا: "اللهم أنت السلام، ومنك السلام"، ثم توفي بالكوفة في خلافة معاوية رضي الله عنهما.

المعنى العام للحديث:

(إنما مثلي ومثل ما أرسلت به) أي علاقة الشبه والنظير أنا وما أرسلت به والذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم هو الهدى والعلم، ووجوب طاعته صلوات الله وسلامه عليه.

(كمثل رجل أتى قومه) التنوين في رجل للتعظيم، والقوم وإضافة قومه إليه تُشعر بنصحه لهم، وخوفه عليهم، واهتمامه بأمرهم

(فقال إني أرى الجيش بعيني): أي: فحذّر قومه لما رأى هذا الجيش الذي يريد الغارة عليهم وقد رآه قبلهم وهم لم يبصروه بعد فحذرهم و اللام في الجيش للعهد، والمراد الجيش المعهود عداوته للمخاطبين.

(وإني أنا النذير العريان) وقد شبه نفسه وهو يحذرهم أنه نذير عريان، هذا القول مَثَل في الإنذار عند المخافة، وأصله- كما قال الشراح-: إن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يُوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم؛ ليُخبرهم بما دهمهم، وإنما يفعل ذلك؛ لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظرًا، فهو أبلغ في استحثاثهم على التأهب للعدو، وقيل: معناه أنا النذير الذي أدركني جيش العدو فأخذ ثيابي، فأنا أنذركم عريانًا أو أن ذلك حدث له دون أن يشعر وهو مهتم بالصياح لتحذير قومه وقد عُلم بقوله هذا أن الإنذار من صفاته صلى الله عليه وسلم.

(فالنجاء) أي فاطلبوا النجاء وأسرعوا في الهرب.

(فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا على مهلهم) فاستجاب لتحذيره طائفة من قومه وهم الطائفة الناجية التي استجابت لنصح هذا الناصح المحذر لهم فتحركوا ليلا وهو الإدلاج.

(فنجوا) أي لما صدقوا تحذيره واستجابوا لنصحه وتحركوا بعيداً عن غارة الجيش المغير نجوا منه.

(وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم)، وهذه هي الفرقة الثانية التي لم تصدق بالدعوة، ولم تستجب للنصح، فظلوا على حالهم دون استجابة فجاءهم التحذير الذي أنذرهم به منذرهم فأتاهم الجيش صباحا فاجتاحهم وأهلكهم.

(فذلك مثل من أطاعني فاتبع) بالفاء ولأبي ذر عن الحموي والمستملي (واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق).

قال الحافظ: قال الطيبي: هذا التشبيه من التشبيهات المفرقة شبه ذاته-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالرجل وما بعثه الله به من إنذار القوم بعذاب الله القريب بإنذار الرجل قومه بالجيش المصبح وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل في إنذاره وصدقه.

(وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٩/٢٥، ٧٥/٢٣، شرح القسطلاني (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢٧٦/٩، ٣٠٥/١٠)، (فتح الباري لابن حجر (٣١٦/١١)،) قال النووي في شرحه على مسلم (٤٨/١٥) وشرح ابن عثيمين لكتاب الرقاق من صحيح البخاري ص ١٠٩)، زهر الأكم في الأمثال والحكم: ٩١/١).

بعض ما يستفاد من الحديث

١- الانتهاء عن المعاصي:

وهى ما استفاده من الحديث شيخ المحدثين البخاري رحمه الله وذلك من تبويبه عليه في كتاب الرقاق، والرقاق المقصود بها ما ترق به أو له القلوب، وعليه فكأن إمامنا البخاري يقول لنا أيها الناس إن الذي يقرأ هذا الحديث يرق قلبه؛ لأنه يسمع تحذير النبي له كتحذير النذير العريان لقومه، فيستجيب لهذا الإنذار فيفكر أول ما يفكر فيه أنه ينتهي عن المعاصي بالكلية، وهي أخص مراتب الاستجابة لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا نهيتكم عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) رواه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧)، وإلا فإن فعل الطاعات وترك المنكرات كله من الاستجابة لله ولرسوله وعليه فأول مراتب النجاة هو الانتهاء عن المعاصي بالكلية والانتهاء عن المعاصي؛ كما قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إن الإنسان يجب أن يبادر بالانتهاء عنها، والمعاصي جمع معصية وهي مخالفة الأمر إما بترك المأمور، وإما بفعل المحذور، والواجب على العبد أن يكون مستقيماً بهذا ولهذا فيقوم بالأوامر ويدع النواهي (ينظر: شرح كتاب الرقاق لابن عثيمين ص ١٠٩).

٢- وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم:

وهي الفائدة الثانية التي تعلمناها من شيخ المحدثين رحمه الله تعالى؛ حيث بوّب على الحديث بهذا التبويب في كتاب الاعتصام، والمفهوم من ذلك أن هذا الحديث يدلنا على وجوب الاعتصام والتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب اتباعه وفي شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٣٣/١٠) قال المؤلف: "أمر الله عباده باتباع نبيه والاقتداء بسنته فقال: (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (الأعراف: ١٥٨)، وتوعد من خالف سبيله ورغب عن سنته فقال: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور: ٦٣)، وهذه الآيات مصدقة لأحاديث هذا الباب".

شبهة وجوابها

ولا يضرنا في هذا ما نسمعه ويطرح على آذاننا ممن فتح الإعلام لهم بابه على مصراعيه من طائفة منكري السنة، أولئك القوم الذين زعموا حبهم لها ليلبسوا بذلك علينا ديننا وإن

تعجب فاعجب من قولهم وإعلانهم في بياناتهم ومناقشاتهم أنهم يحبون نبيهم صلى الله عليه وسلم، بل قد تجد الواحد منهم يدلل على هذا بل ويصدر ما قاله أو كتبه كما قال بعضهم في صدر كتاب كتبه ينكر فيه الصحيح الثابت من كلام خير البرية في أصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل (أي: في البخاري ومسلم) وسمى الكتاب «تجريد البخاري ومسلم من أحاديث لا تلزم» أي كأنه يجرد لنا وينقي لنا البخاري ومسلم من أحاديث ذكرها البخاري ومسلم من أحاديث لا تلزم المسلمين، فسبحان الله!!

والغريب أنه يصدر كتابه هذا بقوله: إلى حبيبي رسول الله، وإنني وغيري عندما يقرأ هذا التصدير قد يغتر بأمثال هؤلاء فتكون المشكلة أكبر لأن أمثال هؤلاء يصيرون بهذا ثقة لدى الناس فينطلي على الناس طعن هؤلاء على السنة النبوية وقريباً رأيت بنفسي رجلاً عقد درساً فضائياً على قناة شهيرة فتحت أبوابها لأمثال هؤلاء الطاعنين، رأيته بنفسي وقد صدر كلامه بمحبته لرسول الله فجذبني حديثه كما يجذب المحب لرسوله ثم إذا به يفاجأني بقوله وتقريره: إن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ليس بواجب علينا اتباعها، وظل يتهجم على من قرر هذا الأصل ودلل عليه من علماء السلف من القدامى والمحدثين، بل والمعاصرين حتى انتهى بشيخ الأزهر السابق رحمه الله، فنقل قولا له قد نشر في جريدة الأهرام أفاد فيه إجماع علماء الإسلام على وجوب اتباع سنة النبي صلى الله عليه ثم ظل يعترض عليه كما اعترض وسخر من غيره.

وللرد على مثل هذا أكتفي بكلام رباني للشيخ ابن باز رحمه الله في تفريغ نصي لكلام له عن السنة النبوية ووجوب اتباعها قال: وقد أجمع علماء الإسلام على أن الأصول المجمع عليها ثلاثة: الأصل الأول: كتاب الله. والأصل الثاني: سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام. والأصل الثالث: إجماع أهل العلم.

وقد دل على هذا المعنى إجماع أهل العلم قاطبة، على وجوب الأخذ بها والإنكار على من أعرض عنها أو خالفها.

وفي نفس السياق يرد رحمه الله على من أنكر السنة من أمثال هؤلاء ممن سموا أنفسهم بالقرآنيين يقول: ونبتت نابتة بعد ذلك تسمى هذه النابتة الأخيرة القرآنية ويزعمون أنهم أهل القرآن، ولا يأخذون إلا بالقرآن فقط، وقد ضلوا عن سواء السبيل،..... فإن الله عز وجل أمر بطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام واتباع ما جاء به، ولو كان رسوله لا يتبع ولا يطاع لم يكن للأوامر قيمة، فدل ذلك على أن سنته صلى الله عليه وسلم واجبة الاتباع، وعلى أن طاعته واجبة على جميع الأمة، كما تجب طاعة الله تجب طاعة رسوله عليه الصلاة والسلام.

٣- شفقته صلى الله عليه وسلم على الناس جميعاً، وهو ما يدعو ذلك إلى وجوب محبته:

وهي فائدة أفادها الإمام النووي في شرحه على مسلم (١٥/٤٨) في تبويبه على هذا الحديث من صحيح مسلم فقال: بَاب شَفَقَته صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّته وَمُبَالَغَته فِي تَحْذِيرهمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ. وهذه الشفقة منقبة من مناقبه صلى الله عليه وسلم لذا وضعه النووي في كتاب مناقب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه المنقبة وغيرها هي قائدنا إلى محبته صلى الله عليه وسلم.

محبته صلى الله عليه وسلم:

ألا تستدعي فرط محبته لنا وشفقته علينا ومبالغته في التحذير لنا مما يضرنا وإرشادنا لما ينفعنا ألا يستدعي ذلك كله محبتنا له عليه الصلاة والسلام؟! إن محبة رسول الله ليست واجبة فقط بل هي فطرة متمكنة من نفوس المؤمنين كيف لا وقد رأيناه بنا رءوفاً رحيمًا كما قال الله (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة:١٢٨)، ولذلك أرجأ استجابة دعوته شفاعة لأمته غدا يوم القيامة ، وهذه المحبة لا يكمل إيمان المرء بدونها كما قال صلى الله عليه وسلم في الصحيحين من حديث أنس: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)، فصارت بذلك محبته مسألة عقدية وضرورة إيمانية والمحبة دليلها الطاعة، وهي طريقنا الأوحد إلى ربنا الرحمن تبارك وتعالى.

والحمد لله رب العالمين.

القسم
الثاني

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٤١)

إعداد/ **علي حشيش**

٣٧٩- ”اسْمُ اللَّه الأَعْظَم الَّذي إذَا دُعيَ به أَجَابَ في هَذه الآيَة منْ آل عمْرَانَ: «قُل اللَّهُمَّ مَالكَ المُلْك تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ» إلَى قَوْله: «وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بغَيْر حسَاب».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «الكبير» (١٢/١٧٣) (ح١٢٧٩٢) قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا جعفر بن جسر بن فرقد، حدثنا أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس مرفوعًا، وعلته الغلابي، قال الإمام الحافظ الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٤٨٤): «محمد بن زكريا الغلابي بصري يضع الحديث»، وعلة أخرى جسر بن فرقد القصّاب قال الإمام يحيى بن معين: «ليس بشيء». أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/٢٠٢/٢٤٩)، وعلة ثالثة ابنه جعفر، قال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/١٨٧/٢٣٢) بصري وحفظه فيه اضطراب شديد كان يذهب إلى القدر وحدث بمناكير. اهـ.

٣٨٠- ” مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّه وَبحَمْده غَرَسَ اللَّه لَهُ أَلْفَ أَلْف نَخْلَة في الْجَنَّة، أَصْلُهَا ذَهَبٌ، وَفُرُوعُهَا دُرٌّ، وَطَلْعُهَا كَثَدْي الأَبْكَار أَحْلَى منَ الْعَسَل، وَأَلْيَنُ منَ الزُّبْد، كُلَّمَا أُخذَ منْهَا شَيْءٌ عَادَ كَمَا كَانَ ”.

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢/١٥٠) (١٩/٣٤٤) قال: حدثنا حذيفة، حدثنا أبو أمية، حدثنا جعفر بن جسر بن فرقد القصاب، عن أبيه، عن ثابت عن أنس مرفوعًا وعلته جعفر بن جسر أخرج له هذا الحديث من بين عدة أحاديث وقال: ولجعفر بن جسر مناكير غير ما ذكرت من الأسانيد والمتون التي يرويها.

ولقد بينا قول الحافظ العقيلي فيه، وقول الإمام يحيى بن معين في ابن جسر أنه «ليس بشيء».

٣٨١- ”إنَّ الملائكة تَعْجَب من المسلم يَمُرّ عَلَى المسلم وَلا يُسَلِّم عليه“.

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢/٢٠١) وقال مخرجه الحافظ العراقي: «لم أقف له على أصل». اهـ.

٣٨٢- ”إنّ أَحَبّ مَا يَقُولُ الْعَبْدُ إذَا اسْتَيْقَظَ منْ نَوْمه: سُبْحَانَ الَّذي يُحْيي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ”.

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «التاريخ» (١١/٢٧٩) من حديث ابن عمر مرفوعًا وعلته عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/١١): «متروك وكذبه ابن معين». اهـ.

قلت: يتبين ذلك من «سؤالات إبراهيم بن الجنيد» للإمام يحيى بن معين (٢٦٦) قال: «سألت يحيى بن معين عن الوقاصي؟ قال: لا يكتب حديثه». ثم قال: كان من ولد سعد بن أبي وقاص. اهـ. قلت: ولقد بين ذلك الحافظ ابن حجر في «التقريب»، فقال: عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري الوقاصي أبو عمرو المدني ويقال: المالكي نسبة إلى جده الأعلى أبي وقاص مالك. اهـ. وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/٩٨): «كان ممن يروي عن الثقات الأشياء الموضوعات؛ لا يجوز الاحتجاج به». اهـ.

٣٨٣- " إنَّ الرَّجُل إذَا وُلِّي ولايةً تباعَد الله عز وجل عَنه ".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢/١٤٥) بصيغة الجزم من حديث أبي ذر مرفوعًا، وقال مخرجه الحافظ العراقي: «لم أقف له على أصل».

٣٨٤- "مَنْ قرأ سورةَ التحريم آتاه الله توبة نصوحًا".

الحديث لا يصح: أخرجه الثعلبي في «تفسيره المسمى: الكشف والبيان» (٩/٣٤٣) والواحدي في «تفسيره» (٤/٣١٧) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا ، وعلته سلام بن سليم الكذاب، وعلة أخرى هارون بن كثير مجهول، وعلة ثالثة زيد بن سلام عن أبيه نكرة ، وهذه العلل المتوالية تزيد الحديث وهنًا على وهن ، وأورده الزمخشري في الكشاف (٤/٤٣٠).

٣٨٥- " وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ حَاسَبَهُ اللَّه حِسَابًا يَسِيرًا ".

الحديث لا يصح: أخرجه الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» (١٠/٢٥)، والواحدي في تفسيره «الوسيط في تفسير القرآن المجيد» (٤/٣٤٣)، وأورده الزمخشري في تفسيره «الكشاف» (٤/٤٦٠) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا وآفته سلام بن سليم الطويل كذاب يروي الموضوعات كما في «المجروحين» (١/٣٣٥) لابن حبان، وعلة أخرى هارون بن كثير مجهول، وعلة ثالثة زيد بن سالم عن أبيه نكرة كما هو مفصل في تحقيق الحديث (٣٦٥) العدد (٣٩) من هذه السلسلة.

٣٨٦- " ما من ليلة إلاَّ وينادي منادٍ: يا أهل القبور من تغبطون؟ قالوا: نغبط أهل المساجد؛ لأنهم يصومون ولا نصوم، ويصلون ولا نصلي، ويذكرون الله ولا نذكر".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢/٢١٠) بصيغة الجزم مرفوعًا، وقال مخرجه الحافظ العراقي: «لم أجد له أصلاً».

٣٨٧- «يُدعى الناسُ يوم القيامة بأمهاتهم، سترًا من الله عز وجل عليهم».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/٣٤٣/١٧٣) من حديث أنس مرفوعًا، وعلته إسحاق بن إبراهيم الطبري كان بصنعاء، قال ابن عدي: منكر الحديث، ثم قال: وهذا حديث منكر المتن بهذا الإسناد، وقال ابن حبان في «المجروحين» (١/١٣٧): منكر الحديث جدًّا يروي عن الثقات الأشياء الموضوعات لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب، ولقد بوب الإمام البخاري بابًا في كتاب الأدب من صحيحه الباب (٩٩) باب «ما يدعى الناس بآبائهم»، وحديث الباب متفق عليه من حديث ابن عمر مرفوعًا: «إن الغادر يرفع له لواء يوم القيامة يقال: هذه غدرة فلان بن فلان». وهذا يدل على نكارة حديث دعوى الناس بآمهاتهم.

منبر الحرمين

وقفات في سورة الحجرات

إعداد/ **الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس**

إمام المسجد الحرام

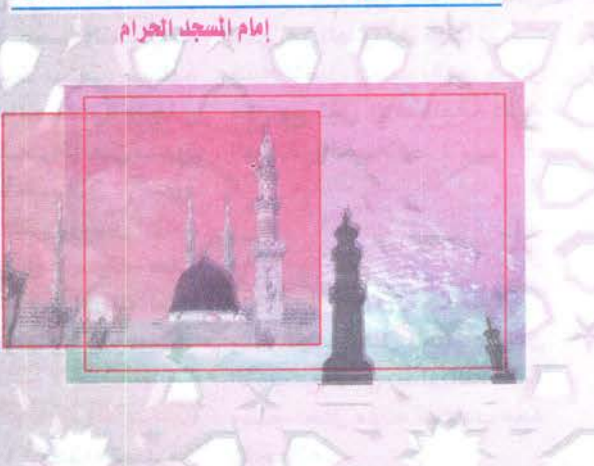

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، نـزَّل الفُرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، نحمدُه- سبحانه- جعلَ الحمدَ فاتحةَ أسراره، وخاتمةَ تصاريفه وأقداره، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعلَ القرآنَ تبيانًا لكل شيءٍ وهُدًى ورحمةً وبُشرى للمُسلمين، وأشهدُ أن نبيَّنا وسيِّدنا محمدًا عبدُ الله ورسولُه أيَّده ربُّه بكتابه المُبين الذي ظهرَت مُعجزاتُه، وبهرَت الخلقَ آياتُه، وقهرَت ذوي العناد بيِّناتُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نُصرَت بهم ألويةُ الحق وراياتُه.

صلاةً تندَى طيوبًا ومسكًا سُحبُها ديَمًا
تُمنَى بها للمُنَى غاياتُها شكرًا
تُضاحِكُ الزهرَ مسرورًا أسرَّتُها
مُعرَّفًا عرْفُها الآصالَ والبُكَرا

أما بعد:

فاتقوا الله- عباد الله-؛ فالتقوى خيرُ نبراس، وأعظمُ معيار ومقياس، (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات: ١٣).

واعلَموا أن خيرَ الحديث كتابُ الله، فهو الهُدى والنور، (قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (المائدة: ١٥، ١٦).

معاشر المسلمين !!

إن أولَى ما أُعمِلَت فيه القرائح، وعلقَت به الأفكارُ اللواقح: الكشفُ عن حقائق التنزيل، وسَبرُ أغوار التأويل، وتبيُّن أسرار الكتاب الجليل. فيه تقومُ المعالم، وتثبُت الدعائم، وهو العصمةُ الواقيَة، والنعمةُ الباقيَة، والحُجَّةُ البالغة، والدلالةُ الدامغة. وهو شفاءُ الصدور، والحكَمُ العدلُ عند مُشتبهات الأمور. فسبحانَ من سلَكَه ينابيعَ في القلوب،

وصرَّفه بأبدع معنًى وأعذب أسلوب، لا يستقصي معانيَه فهمُ الخلق، ولا يُحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطَّلْق. فالسعيدُ من صرفَ همَّتَه إليه، ووقفَ فكرَه وعزمَه عليه، والموفَّقُ من وفَّقه الله لتدبُّره، واصطفاهُ للتذكير به وتذكُّره، فهو يرتَعُ منه في رِياض، وينهَلُ منه في حياض.

أنـدَى على الأكبادِ من قَطر النَّدى
وألذُّ في الأجفانِ من سِنَةِ الكرَى
يملأ القلوبَ بِشرًا، ويبعثُ القرائحِ شذًى ونشرًا، يُحيي القلوبَ بأوراده، ولهذا سمَّاه الله روحًا، فقال: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ) (الشورى: ٥٢).

أمة القرآن !!

إن فضلَ القرآن على سائر الكلام كفضلِ الله على خلقه.

يقولَ الإمام الشاطبيُّ- رحمه الله-: "والقرآنُ الكريمُ هو كليةُ الشريعة، وعُمدةُ الملَّة، وينبُوع الحكمة، وآيةُ الرسالة، ونورُ الأبصار والبصائر، فلا طريقَ إلى الله سواه، ولا نجاةَ بغيره. فمن رامَ الاطلاعَ على كليات الشريعة، وطمع في إدراك مقاصدها، واللَّحاق بأهلها، لزمَه ضرورةً أن يتَّخذَه سميرَه وأنيسَه، وأن يجعلَه قعيدَه وجليسَه، على مرِّ الأيام والليالي نظرًا وعملاً".

الله أكبر !!

الله أكبر إن دينَ محمد
وكتابَه أقوَى وأقومُ قيلا
طلعَت به شمسُ الهداية للورَى
وأبانَها وصفُ الكمال أفولا
لا تذكروا الكُتُبَ السوالفَ عنده
طلعَ الصباحُ فأطفِؤوا القِنديلا

أمة الإسلام !!

وفي هذا العصر الزاخر بالصراعات المادية والاجتماعية، والظواهر السلوكية والأخلاقية، والمفاهيم المُنتكسة حيالَ الشريعة الربانيَّة، لا بُدَّ من الفَيئة إلى أخلاق القرآن وآدابه؛ ففيه حقائقُ التربية الفاضلة، وأُسس المدنية الخالدة. ولذلك كانت سُنَّةُ رسولِ الله- صلى الله عليه وسلم- كثرةَ موعظة الناس بالقرآن، بل كان كثيرًا ما يخطُبُ الناسَ به، (فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ) (ق: ٤٥)، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (يونس: ٥٧).

وإن كتابَ الله أوثقُ شافع
وأغنَى غناءً واهبًا مُتفضِّلاً
وخيرُ جليس لا يُملُّ حديثُه
وترداده يزدادُ فيه تجمُّلا

فما أجملَ أن نعيشَ أفضلَ لحظاتٍ في عصر التحديات، في رحابِ آياتٍ بيِّنات، نستلهِمُ النفحاتِ والعظات، ونجني أطايبَ الثمرات، من سُورة الآداب والأخلاق "سورة الحجرات"، التي تُؤسِّسُ للأدب مع الله تعالى، ومع رسوله- صلى الله عليه وسلم-، بإدراك العبد حدوده، فيلزمُها ولا يتجاوزُها. (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الحجرات: ١)، وهذا مقصدٌ من أعظم مقاصد الشريعة الغرَّاء: إخراجُ العبد من داعي الهوَى المُطاع إلى تحقيق العبودية وتمام الاتباع؛ إذ المقصد الشرعيُّ من وضع الشريعة: إخراجُ المُكلَّف عن داعية هواه، حتى يكون عبدًا لله اختيارًا كما هو عبدٌ لله اضطرارًا.

وما الحضارةُ الإسلاميةُ القَعساء التي وطَّدَتها شريعتُنا الغرَّاء، وسعدَت بها الدنيا عبر التأريخ، إلا صُوَّةٌ وقَّادةٌ من التزام أوامر الله تعالى وهدي نبيِّه- صلى الله عليه وسلم-.

وإذا كانت المآسي تلفَحُ وجهَ الأمة في كل شبر وواد، وفي مُختلف الأصقاعِ والوهاد، فليس أرجَى ولا أنجَى من تَلمُّس العقيدة والمقاصد الشرعية، واتِّباع السُّنَّة المُحمديَّة، فهما مناطُ العزِّ والنصر، وأجلَى لُغات العصر؛ حيث يُؤصِّلان للأمة العلوَّ والتمكين، واسترداد سابِق عزِّها وتليد مجدِها.

أمَة الفُرقان !!

وإذا كانت سُورةُ الحُجرات قد بدأَت بتأصيل هذا الأساس المَكين من العبوديَّة، فإنها توَّجَت هذا الأصلَ بأدب رفيع، وخُلُق سام مع نبيِّ الإنسانيةَ- عليه الصلاة والسلام-، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (الحجرات: ٢).

وقد أجمعَ أهلُ العلم على أن الأدبَ مع النبي- صلى الله عليه وسلم- حالَ موته كالأدب معه في حياته.

يقول الإمام ابن مُفلح- رحمه الله-: "ولا تُرفعُ الأصواتُ

عند حُجرته- عليه الصلاة والسلام-، كما لا تُرفعُ فوق صوته؛ لأنه في التوقير والحُرمة كحياته".

وقال الإمام مالكٌ- رحمه الله- لمن رفعَ صوتَه في مسجد رسولِ الله- صلى الله عليه وسلم-: "يا هذا! لا ترفَع صوتَك في مسجدِ رسولِ الله- صلى الله عليه وسلم-؛ فإن الله- عز وجل- أدَّب قومًا فقال: (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)، ومدحَ قومًا فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (الحجرات: ٣)، وذمَّ قومًا فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (الحجرات: ٤)، وإن حُرمتَه ميتًا كحُرمته حيًّا".

إخوة الإيمان!!

وإن من أعظم الآداب التي جاءَت بها سُورةُ الحُجرات، والتي هي بحقٍّ منهجٌ لاستقامة الأفراد والمُجتمعات: التَثبُّت وحُسن الظنِّ بالمُسلمين، في قول الحقِّ- سبحانه-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (الحجرات: ٦).

وقد قال نبيُّنا- صلى الله عليه وسلم-: «إياكم والظنّ؛ فإن الظنَّ أكذبُ الحديث» (متفق عليه).

وإن في غَمرة الأحداث المُتسارعة الدامية، والأوقات المُستعِرة الحامِية، تُحاولُ بعضُ النفوس الضعيفة شرخَ تلاحُم الأمة، وثَلْم وحدتها، وتُلبِّسُ على النُّزهاء البُرآء زعومًا ودعاوَى، بشائعات باطلة، وأكاذيبَ مُلفَّقة، يفتَرون على النَاس الكذب، ويُقبِّحون كل رائقٍ عذب، وتناسَوا قولَ النبِي- صلى الله عليه وسلم-: «المُسلمُ من سلمَ المُسلمون من لسانه ويده» (متفق عليه).

وكلما اتَّسعت رُقعةُ الشائعات الباطلات، والأراجيف الذائعات التي يُروِّجُها ذو قحة وغلالة صفيقة، مُستغلِّين تقانات العصر فيما هو أطمُّ، فكان إثمُه عند الله أعظم.

فعلى المُسلم العَفِّ أمام هذه الإفرازات النفسية الداكنة، أن يتمثَّل قولَ الحقِّ- جل جلالُه-: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) (الحجرات: ١٠). تحقيقًا للأُخوَّة الإسلامية، وسعيًا في دُروب الصُّلح والإصلاح بين المُسلمين، لاسيَّما عند الأزمَات، للبُعد عن الصراعات، ومُجافاة التحديات.

كما يتمثَّلُوا قولَه- سبحانه-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا) (الحجرات: ١٢)، وقولَه- جل وعلا-: (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) (النور: ١٦).

عن حمَّاد بن زيد- رحمه الله- قال: "بلغَني أنَّ محمدَ بن واسِع كان في مجلسٍ فتكلَّم رجلٌ فأكثرَ الكلام، فقال محمد: ما على أحدكم لو سكَت، فتنقَّى وتوقَّى".

وقال الإمام أحمد- رحمه الله-: "ما رأيتُ أحدًا تكلَّم في الناس إلا سقَط".

وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: "والكلامُ في الناس يجبُ أن يكون بعلم وعدل، لا بجهلٍ وظُلم، والوَقيعةُ في أعراض الناس أشدُّ من سرِقة أموالهم".

أمة الإيمان!!

وفي عصر الفضائيات، وشبكات المعلومات، ووسائل التواصُل الاجتماعيِّ، يجبُ أن نكون أكثَر ثقة، فلا نُعطي آذانَنا للمهازيل الأغرار، وخَفافيش الظلام الذين ينشُرون الإفكَ والبُهتان، والأقاويل المُفسدة بين المُسلمين، بالتدابُر والهُجران والغيبة والنَّميمة، وقد شبَّه المولَى المُغتابَ والنمَّام بوصفٍ تقشعرُّ منه الأبدان، فقال- سبحانه-: (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) (الحجرات: ١٢).

كما يجبُ ألا نُجارِيَهم في سُخريتهم من أهل الفضل والإيمان: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ) (الحجرات: ١١).

وفي عصرِنا غدَا فِئامٌ من الناس- وخصوصًا مع زمجَرة الإعلام الحديث- أصبَحوا لا يسكُنُ لهم قرار، أو هدأةٌ واصطبار إلا بتمزيق الأعراض بصواعِق الألفاظ،

وهمَزات الألحاظ، واستهامها كالأغراض، وبئسَت الغايات والأغراض!!

يكتبون الزُّور وبه تجري أقلامُهم، ويكتُمون الحقَّ وبه تأمرُهم أحلامُهم، يلمزون الشرفاءَ الأطهار، ويسخرون من الصالحين الأبرار، في تفتيت لوحدة الأمة الإسلامية، والأخوَّة الإيمانيَّة، واللُّحمة الوطنية.

فاحفَظ لسانَك من طعنٍ على أحد
من العباد ومن نقلٍ ومن كذبِ
وانصف ولا تنتصف منهم وناصحهم
وقم عليهم بحق الله وانتدب

إخوة الإيمان!!

وقد ختمَ الله- سبحانه- آيةَ التحذير من السخرية بقوله: (وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الحجرات: ١١).

فإذا كان هذا في مُجرد السخرية.. فكيف بسفك الدم الحرام، والعتوِّ في الأرض والإجرام، والتطاوُل على بيوت الله، والإضرار بالمساجد ودُور العبادة وانتهاك حُرماتها، وترويع الساجدين الآمنين؟! (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (البقرة: ١١٤).

إنها أضاليلُ أناس تهصرُ مسالكَ المُجتمعات، وتصهرُ ملاكَ القيم الرضيَّات، بمسالكَ نافُوقاء مُعوَجَّة، ورعونات سَحماء فجَّة، يُخالفون صريحَ قول ربِّ العزَّة: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات: ١٣).

أي: ليعرف بعضُكم بعضًا، لا لتتنافَروا وتتناحَروا وتتباغَضُوا وتتشاحَنوا وتتقاتَلوا وتتصارَعوا.

وهنا يُؤكِّدُ على أنه لا علاقةَ للإسلام بالإرهاب بكل صُوره وأنماطه المُعاصرة؛ إذ الإرهابُ لا دينَ ولا وطنَ ولا جنسيَّةَ له، والإسلامُ دينُ الرِّفق والرحمة واليُسر والحوار، والتعايُش والتسامُح والسلام.

وإن التفجيرات والاعتداءات والهجَمات والأعمال الإرهابية الدموية لا يُقرُّها دينٌ ولا عقلٌ ولا نظرٌ سديد، وهي تتنافَى مع كل الشرائع والأعراف والمواثيق، والإسلامُ بريءٌ من هذه التصرُّفات الشائنة التي لا تتماشَى مع أصوله العادلة، وقيمه الإنسانيَّة السامية التي جاءَت رحمةً للعالمين.

والدعوةُ مُوجَّهةٌ لتكثيف الجهود في مُحاربة الإرهاب بكل صُوره وأشكاله، ومُكافحَته بحزم وعزم وقُوَّة، فكرًا وتمويلاً ومُمارسة، وتجفيف منابعه، واستئصال شأفته، لإحلال الأمن والسِّلم العالميَّيْن.

وهنا يُحذَّرُ من إلصاق تُهمة الإرهاب بالإسلام وأبنائه المُتَّصفين بالاعتدال والوسطيَّة، ولا عبرةَ بالتصرُّفات الشاذَّة، والمُمارسة الخاطئة.

وأخطَرُ من ذلك: الإرهابُ الصهيونيُّ ضدَّ المسجد الأقصَى، وإرهابُ إلقاء براميل التفجير والتدمير من طاغية الشام ضدَّ إخواننا في سُوريا.

فالإسلامُ بتعاليمه إنما يُتمِّمُ نُبلَ الأخلاق والمكارم تتميمًا، ويعضدُ الأخُوَّة والتآلُف أغرَّ وسيمًا، ونشرُ التسامُح بين أبناء المُجتمع جاء مُؤكَّدًا فيه لَزيمًا، والحبُّ الربانيُّ على صفحات القلوب بين تعاليمه أضحَى مُدبَّجًا رقيمًا.

أمة القُرآن!!

وتُختتمُ السورة بذكر صفات المُؤمنين، ثم النهي عن منِّ المنَّانين، فالمنُّ لله وحده، كما قال النبيُّ- صلى الله عليه وسلم- للأنصار يوم حُنين: «ألم أجدكم ضُلاَّلاً فهداكم الله بي؟! وكنتم مُتفرِّقين فألَّفكم الله بي؟! وعالةً فأغناكُم الله بي؟!»، كلما قال شيئًا قالوا: "الله ورسولُه أمنُّ" (رواه البخاري ومسلم).

(بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الحجرات: ١٧، ١٨).

ألا فاتقوا الله- عباد الله-، وتدبَّروا آيات كتابه، وطبِّقوها في حياتكم واقعًا ملمُوسًا، مُشاهَدًا محسُوسًا؛ تُحقِّقوا خيرَي الدنيا والآخرة.

ثم صلُّوا وسلِّموا على النبي المُصطفى الكريم، ذي القدر الجليل العظيم، كما أمرَكم المولى الرحيم في التنزيل الحكيم، فقال- جل جلالُه-: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦).

باب العقيدة

وسطية أهل السنة في مسائل الاعتقاد

الحلقة الأولى

إعداد/ **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

(أ) تسليم الصحابة للنصوص الواردة في القرآن والسنة، وفهم معانيها:

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلون آيات الله -عز وجل- ويتلقون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنته المطهرة، ونجزم أنهم كانوا يقرؤون القرآن قراءة تدبر، وأنهم كانوا يفهمون معاني ما يتلون ويقرؤون؛ فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه.

وكذلك كان تلقيهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي فهم وتدبر؛ لأنهم متعبَدون بالعمل بها كما هم متعبَدون بالقرآن الكريم.

وهذا هو الظن في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا فقهاء علماء يفقهون ما يسمعون، وإذا سمعوا أمرًا قاموا باتباعه وأدوا ما طلب منهم (رضوان الله عليهم)، وإذا أشكل عليهم شيء مما جاء فيها أو خفي عليهم معناه، أو عزب عن أذهانهم فهم المراد منه -أي: من السنة- سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فيبين لهم ما نزل إليهم ويوضح ما خفي عليهم.

جاء في (الصحيح): أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من نُوقش الحساب عذب»، وفي رواية: «مَن حُوسب عُذب». فقلت: أوليس يقول الله تعالى: « فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا » (الانشقاق: ٨).

قالت: فقال: «إنما ذلك العرض؛ ولكن من نوقش الحساب يهلك».

ومع ذلك لم يرد قط من طريق صحيح، ولا سقيم، عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله «صلى الله

عليه وسلم «عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم أو على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بل كلهم فهموا معنى ذلك، وسكتوا عن الكلام في الصفات، وربما اختلفوا (رضي الله عنهم) في شيء من الأحكام وأمور الحلال والحرام؛ لكنهم لم يختلفوا في أسماء الله وصفاته وإثبات ما ورد منها.

(ب) بيان مذهب «جهم بن صفوان المعطل» في الصفات:

في الحقيقة لم يصل إلينا شيء من كتب الجهمية الأوائل؛ لأننا لم نقف على كتب لهم، وقد فتش كثير من أهل العلم المكتبات سابقًا في عصور متقدمة، وحتى في هذه الأزمان المتأخرة فلم يجدوا شيئًا تركه أصحاب هذا الفكر بأقلامهم؛ غير أننا نستطيع أن نقف على الكثير من أقوالهم، واعتقاداتهم من خلال ما دونه عنهم بعض الأئمة ومؤلفو كتب الفرق والمقالات، وما سجله بعض المؤرخين من مقالاتهم في ثنايا تراجمهم وأخبارهم.

ولا شك أن أهل العلم الصادقين كانوا يتحرون النقل بأمانة؛ فإذا كتبوا، كتبوا بصدق ووعي ودراية، ومما بلغنا من قولهم في ذلك ما ذكره الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله تبارك تعالى) في كتابه: (الرد على الجهمية والزنادقة) حيث قال: وزعم – أي: جهم- أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدث عنه رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته؛ كان كافرًا وكان من المشبهة، وإذا سألهم الناس عن قول الله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى: ١١) يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأراضين السبع كما هو على العرش، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولم يتكلم ولا يتكلم، ولا ينظر أحد إليه في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة. هذا ملخص ما ذكره الإمام أحمد عن جهم بن صفوان المعطل.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى-: ولهذا كان جهم وأمثاله يقولون: إن الله ليس بشيء، وروي أنه قال: لا يسمى باسم يسمى به الخلق؛ فلم يسمه إلا بالخالق القادر؛ لأنه كان جبريًا يرى أن العبد لا قدرة له.

(جـ) بيان مذهب المعتزلة في الأسماء والصفات:

أخذ المعتزلة عن الجهمية القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، ونفي رؤية الله «عز وجل» في الآخرة، وقد أشار الإمام أحمد- رحمه الله تعالى- إلى أن بعض أصحاب عمرو بن عبيد أحد رؤوس الاعتزال-كما هو معلوم- قد تبع جهم بن صفوان على مقالته وأخذ عنه، وكان بين جهم وواصل بن عطاء زعيم المعتزلة الأول مكاتبات، وقد أخذ بشر المريسي المعتزلي مقالة الجهم بن صفوان واحتج لها، وجرَّد القول بخلق القرآن وناظر عليه.

يقول ابن المرتضى المعتزلي في بيان ما أجمعت عليه المعتزلة:

وأما ما أجمعوا عليه، فقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدثًا قديمًا قادرًا عالمًا حيًّا، لا لمعان، ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر عينًا واحدًا لا يُدرَك بحاسة، وقوله: لا لمعان معناه: أنهم يثبتون كونه عز وجل قادرًا، عالمًا حيًّا، أسماء مجردة لا تدل على صفات، فهو قادر بلا قدرة، عالم بلا علم، حي بلا حياة.

ويوضح هذا قول الشهرستاني- رحمه الله تعالى-: والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بأن الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلاً فقالوا: هو عالم بذاته، حي بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة؛ هي صفات قديمة ومعان قائمة به، لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية.

(د) بيان مذهب الأشاعرة:

الأشاعرة هم الذين أثبتوا الأسماء وبعض الصفات، ونفوا أو أولوا بعضها الآخر، وهؤلاء قد اتفقوا على إثبات بعض الصفات التي يسمونها صفات المعاني: وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، وقالوا: إن العقل والسمع دلا على هذه الصفات ولذلك أثبتناها. وفي ذلك يقول البغدادي- وهو من أئمة المذهب الأشعري-: أجمع أصحابنا على أن قدرة الله عز وجل وعلمه وحياته وإرادته وسمعه وكلامه صفات له أزلية. واتفقوا على وجوب تأويل بعض الصفات ونفيها عن الله عز وجل وذلك مثل صفة المحبة والرضا وغيرها من الصفات الاختيارية التي تقع بمشيئة الله وإرادته.

بيان أقوال أهل التشبيه والتعطيل

وهم الذين شبهوا الخالق بالمخلوق، وجعلوا ما ورد من صفات الله عز وجل مماثلاً ومشابهًا لصفات

المخلوقين، وهذا النوع من التشبيه يكثر في الروافض؛ بل هم أهله؛ فإن من أشهر من قال بهذا النوع من التشبيه منهم: هشام بن الحكم الرافضي، الذي شبه معبوده بالإنسان، وزعم أنه سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه جسم طويل عريض، وروي عنه: أنه كسبيكة الفضة؛ تعالى الله عز وجل عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

ومذهب الرافضة مذهب غريب عجيب؛ فهم كانوا في أول حالهم في الصفات مشبهة يشبهون الله عز وجل بخلقه، ويمثلون صفات رب العالمين بصفات المخلوقين، ثم بعد ذلك انقلبوا على الضد لما تتلمذوا على أيدي المعتزلة قالوا بقولهم وذهبوا إلى مذهبهم، في نفي الصفات عن الله وتأويل صفات رب العالمين تبارك وتعالى، جل في علاه.

ولا شك أن هذا من الانحراف الذي وقع فيه هؤلاء الناس بسبب تركهم للكتاب والسنة، وعدم اعتصامهم بما جاء به الخبر عن الله، وبما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وممن قال بالتشبيه من غير الرافضة: مقاتل بن سليمان المفسر؛ فهذا الإمام العظيم الذي كان إمامًا في التفسير ليس من طائفة الرافضة، ولكنه (رحمه الله تبارك تعالى) وقع في بعض ألوان التشبيه؛ ولهذا قال فيه الإمام أبو حنيفة (رحمه الله تبارك تعالى): أتانا من المشرق رأيان خبيثان جهم معطل، ومقاتل مشبه.

بيان قول أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته

أهل السنة والجماعة (رحمهم الله) هم أهل الوسط، هم أهل الاعتدال، وقفوا بين هؤلاء وهؤلاء؛ ولذلك كانوا على الحق والصراط المستقيم؛ ولذلك لابد من بيان مذهبهم في ذلك، والإشارة إلى ما كانوا عليه (رحمهم الله):

فأهل السنة والجماعة كان من أصولهم التي يدينون بها رب العالمين تبارك وتعالى: إثبات ما ورد في كتاب الله عز وجل أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من أسماء الله وصفاته، لا يفرقون بين أسماء الله وصفاته، ولا بين بعض صفاته (جل في علاه) وبعض آخر؛ بل قولهم في الجميع واحد، لا ينفون ولا يؤولون شيئًا منها، ولا يكيفون أو يشبهون شيئًا منها بصفات المخلوقين.

ولذلك صور الإمام ابن عبد البر (رحمه الله تبارك تعالى): مذهب أهل السنة والحديث - وهم أهل سواء السبيل في صفات الله تبارك وتعالى- فقال: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وهذا حق؛ فأهل السنة يثبتون ولكنهم لا يشبهون ولا يكيفون.

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله تبارك تعالى) قرر مذهبهم تقريرًا شافيًا واضحًا، وهو إمام عالم جليل عرف مذهب السلف ونشره وأذاعه رضي الله عنه وقد صور مذهبهم في ذلك فقال:

مذهب سلف الأمة وأئمتها: أن يوصف الله عز وجل بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف وتمثيل، يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، يثبتون له صفات الكمال، وينفون عنه ضروب الأمثال، ينزهونه عن النقص والتعطيل، وعن التشبيه والتمثيل، إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ» (الشورى: ١١) رد على الممثلة، «وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى: ١١) رد على المعطلة، فمذهبهم إذا بين التمثيل والتعطيل دائر على الإثبات والتنزيه.

قواعد أهل السنة في إثبات الأسماء والصفات:

إن أهل السنة والجماعة قعدوا قواعد ساروا عليها في إثبات أسماء الله العلي وصفاته تبارك وتعالى جل في علاه، وكانت هذه القواعد، بفضل الله، عز وجل المستمدة من القرآن وصحيح السنة فيها عصمة لهؤلاء القوم:

القاعدة الأولى:

وهي أعظمها: هو أنه لا يوصف الله عز وجل إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث.

القاعدة الثانية:

القطع بأنه ليس فيما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيه لصفاته بصفات خلقه؛ كما تقدم قول نعيم بن حماد: (من شبه الله بخلقه كفر؛ ومن جحد شيئًا

مما وصف الله به نفسه كفر؛ وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيه أو تمثيل).

القاعدة الثالثة:

قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله تبارك وتعالى وكل من حاول إدراك ذلك خرج إلى ضرب من التشبيه؛ فالواجب ألا يتطلع الإنسان إلى معرفة كنه الصفة وحقيقتها وما هو للرب تبارك وتعالى في حقيقة الأمر؛ بل عليه أن يفهم الصفة على مقتضى لغة العرب، وكما بينها النبي صلى الله عليه وسلم وكما فهمها الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم.

القاعدة الرابعة:

القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، وهذا أصل مهم وعظيم من أصول أهل السنة والجماعة في إثباتهم للأسماء والصفات، وردوا بهذا الأصل على من أثبت بعض الصفات ونفى البعض الآخر، ومن نفى بعض الصفات وأثبت بعضها غفل عن هذا الأصل العظيم، وإننا نقول له بأن: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر؛ إذ لا فرق بين ما نفاه النافي وبين ما أثبته، لأن الكلام في الصفات كله من باب واحد، والقول فيها واحد، وكذلك القول في أسماء رب العالمين تبارك وتعالى.

القاعدة الخامسة:

الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، يحتذى في ذلك حذوه ومثاله، وهذه قاعدة مهمة أيضًا ونرد بها على الجهمية الذين نفوا صفات رب العالمين تبارك وتعالى ويقولون بأننا نثبت وجود الله عز وجل ونحن نقول لهم: إثبات ذات الله- تبارك وتعالى- على ما يليق بجلاله وكماله يدفعنا إلى أن نثبت أيضًا صفات رب العالمين تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله وكماله؛ فالجهمي إذا أثبت ذاتًا لا تشبه ذوات المخلوقين، نقول له أيضًا: أثبت لله صفات لا تشبه صفات المخلوقين؛ لأنه إذا كان معلومًا أنّ إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية؛ فكذلك أيضًا إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

القاعدة السادسة:

الاعتصام بالألفاظ الشرعية الواردة في هذا الباب نفيًا وإثباتًا، والتوقف في الألفاظ التي لم يرد نص بذكرها نفيًا ولا إثباتًا؛ كلفظ الجسم والحيز والجهة والمكان.. ونحو ذلك، والاستفصال عن مراد من أطلقها؛ فإن كان المعنى الذي أراده صحيحًا قبل وعبر عنه باللفظ الشرعي لا باللفظ البدعي الذي أتى به؛ وإن كان معنى باطلاً لم يقبل.

وسطية أهل السنة والجماعة في القدر:

أ- نشأة الكلام في القدر، ونزاع الناس فيه:

الحديث عن القدر والنزاع والمخاصمة فيه، والاحتجاج به؛ من الأمور التي صاحبت الإسلام منذ نشأته؛ بل إنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن جذور الكلام والخوض فيه تمتد إلى ما قبل الإسلام، ويؤكد ذلك نصوص من كتاب الله عز وجل ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد جاء فيهما ما يدل على أن كفار قريش خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر ونازعوه فيه واحتجوا به، يقول الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت: «يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» (القمر: ٤٨، ٤٩).

قال الإمام ابن القيم- رحمه الله تعالى- في هذه الآية: والمخاصمون في القدر نوعان:

أحدهما: من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره، كالذين قالوا: «لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا» (الأنعام: ١٤٨).

والثاني: من ينكر قضاءه وقدره السابق.

والطائفتان خصماء الله عز وجل.

وأخبر عز وجل في آية أخرى أنّ المشركين كانوا يحتجون بالقدر ويتعللون بمشيئة الله، وينسبون ما وقع منهم من كفر وشرك وعصيان إلى إرادة الله ومشيئته تبارك وتعالى، منكرين إرادتهم واختيارهم، وذلك تنصلاً من مسئولية ما فعلوا وما اقترفوا من شرك وإثم، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: «سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ» (الأنعام: ١٤٩).

وللحديث بقية إن شاء الله.

نظرات في الإجماع ومدونات نقله

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وبعد:

إعداد/ **الشيخ محمد عبد العزيز**

فالإجماع هو الدليل الثالث من أدلة التشريع المتفق عليها، وهو دليل تبعي لا يستقل وحده بالتشريع، وإنما لابد له من مستند من كتاب أو سنة يقوم عليه، وهو قاطع للخلاف إن وجد، ولذا فقد اهتم به أهل العلم اهتمامًا بالغًا، وحرصوا على نقله في كتبهم، ومنهم من أفرده بمصنف، وسموا مخالفه شاذًا، فهو عندهم من أدلة التشريع القطعية التي لا يجوز لأحد مخالفتها.

وهذه كلمات جمعتها في الإجماع ومدونات نقله، كتبتها تنبيهًا وتنشيطًا لذهن طالب العلم، وقد جعلت هذه المقالة في سبعة مطالب.

المطلب الأول: تعريف الإجماع لغة، واصطلاحًا:

الإجماع لغة يرد لثلاثة معان:

أحدها: العزم على الشيء والتصميم ومنه قوله تعالى: «فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ» (يونس:٧١)، أي: أحكموا أمركم، واعزموا عليه. ومن ذلك حديث حفصة زوج النبي رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له» أي: من لم يعزم. رواه أبو داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٩)، والنسائي (٢٦٥٤)، وابن ماجه (١٧٠٠).

الثاني: تجميع المتفرق ومنه قوله تعالى: «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ» (التغابن: ٩).

الثالث: الاتفاق، ومنه يقال: أجمع القوم على كذا، إذا اتفقوا عليه.

الإجماع اصطلاحًا:

قال الآمدي في الإحكام في أصول الأحكام (١٩٦/١): «الإجماع عبارة عن: اتفاق جملة أهل الحل والعقد، من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، في عصر من الأعصار، على حكم واقعة من الوقائع».

فمراده بقوله: "اتفاق": ما يعم الأقوال والأفعال، والسكوت والتقرير، وبه يخرج اختلافهم، فلا ينعقد الإجماع مع اختلاف بعضهم.

ومراده بأهل الحل والعقد هنا: أهل الاجتهاد، فلا يدخل فيه غيرهم من العوام.

ومراده بقوله: "من أمة محمد صلى الله عليه وسلم": أن إجماع الأمم قبلهم ليس بحجة إذ لم تثبت لجماعتهم العصمة.

ومراده بقوله: "في عصر من الأعصار": أن الإجماع ينعقد بمجرد الاتفاق على الصحيح، فلا يشترط فيه انقراض العصر.

ومراده بقوله: "على حكم واقعة من الوقائع": أي على حكم مسألة من المسائل.

فهذه خمسة أركان لا ينعقد الإجماع، بانتقاص واحد منها.

المطلب الثاني: حجية الإجماع:

من أدلة حجية الإجماع من القرآن:

قول الله تعالى: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » (البقرة: ١٤٣).

وقول الله تعالى: « وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ » (آل عمران: ١٠٣).

وقوله تعالى: « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » (آل عمران: ١١٠).

وقوله تعالى: « وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا » (النساء: ١١٥).

وهذه الآية استدل بها الإمام الشافعي -رحمه الله- في إثبات حجية الإجماع، وهو أول من استدل بها.

وقوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » (النساء: ٥٩).

وقوله تعالى: « وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » (الشورى: ١٠).

ومن أدلة السنة:

حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فارق الجماعة شبرًا، فمات، فميتة جاهلية» رواه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

والجماعة جماعتان: جماعة أديان، وجماعة أبدان.

حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العلم لله ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن الدعوة تحيط من ورائهم» رواه والترمذي (٢٦٥٦)، وأبو داود (٣٦٦٠)، وابن ماجه (٢٣٠) من حديث زيد بن ثابت، وقد عدّ في المتواتر.

وأدلة حجية الإجماع كثيرة منتشرة، وما يرد عليها، وما ردت به الإيرادات من المشتهرات، لذا أعرضت عن ذكر موضع الاستدلال، وما يرد عليه من استشكال، وما رُدَّ به الاستشكال لما هو أهم، وبخاصة أنه دليل متفق على حجيته.

المطلب الثالث: أهمية الإجماع، وحكم منكره:

الإجماع حجة قطعية لا يعارضه شيء من الأدلة، ولا يجوز لأحد بعد انعقاده أن ينصب الخلاف.

قال الشافعي في الرسالة (ص٣٠٦): "وأجمعوا أنه لا يجوز لأحد أن يخرج على أقاويل السلف فيما أجمعوا عليه.

وعما اختلفوا فيه أو في تأويله.

فإن الحق لا يجوز أن يخرج عن أقاويلهم".

وقال الخطيب في الفقيه والمتفقه (٤٣٤/١):

الإجماع على ضربين:

أحدهما: إجماع الخاصة والعامة

وهو مثل: إجماعهم على القبلة أنها الكعبة، وعلى صوم رمضان، ووجوب الحج، والوضوء، والصلوات وعددها، وأوقاتها، وفرض الزكاة وأشباه ذلك.

والضرب الآخر: هو إجماع الخاصة دون العامة، مثل ما اجتمع عليه العلماء من أن الوطء مفسد للحج، وكذلك الوطء في الصوم مفسد للصوم، وأن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه، وألا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها، وأن لا وصية لوارث، وأن لا يقتل السيد بعبده، وأشباه ذلك.

- فمن جحد الإجماع الأول استتيب، فإن تاب وإلا قتل.

- ومن رد الإجماع الآخر فهو جاهل يُعَلَّمُ ذلك، فإذا عَلِمَه ثم رده بعد العلم، قيل له: أنت رجل معاند للحق وأهله."

وقال الجويني في البرهان (٤٣٦/١): "والإجماع عصام الشريعة، وعمادها، وإليه استنادها."

وقال ابن تيمية " مجموع الفتاوى جمع ابن القاسم" (١٠/٢٠): "وإذا ثبت إجماع الأمة على حكم من الأحكام، لم يكن لأحد أن يخرج عن إجماعهم، فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة"

و الإجماع الذي عناه أهل العلم، هو الإجماع المتيقن، وهو إجماع العامة المنقول عن سائر أمة الإجابة كالإجماع على الأركان الخمسة، أو إجماع الخاصة المنقول عن مجتهدي الأمة، فلا يدخل فيه العامة ولا أهل البدع والأهواء ونحوهم.

قال ابن حزم في مراتب الإجماع (ص ١٢): "وصفة الإجماع هو:

ما يتيقن أنه لا خلاف فيه بين أحد من علماء الإسلام".

ثم قال: "وإنما نعني بقولنا "العلماء": من حفظ عنه الفتيا من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، وعلماء الأمصار، وأئمة أهل الحديث ومن تبعهم رضي الله عنهم أجمعين.

ولسنا نعني أبا الهذيل، ولا ابن الأصم، ولا بشر بن المعتمر، ولا إبراهيم بن سيار، ولا جعفر بن حرب، ولا جعفر بن مبشر، ولا ثمامة، ولا أبو عفان ولا الرقاشي، ولا الأزارقة، والصفرية، ولا جُهّال الإباضية، ولا أهل الرفض.

فإن هؤلاء لم يعتنوا من تثقيف الآثار ومعرفة صحيحها من سقيمها، ولا البحث عن أحكام القرآن لتمييز حق الفتيا من باطلها بطرف محمود.

بل اشتغلوا عن ذلك بالجدال في أصول الاعتقادات. ولكل قوم علمهم".

المطلب الرابع: التوسع في دعوى الإجماع:

قد توسع قوم جدًّا في دعوى الإجماع، حتى ادعى أناس الإجماع بمجرد الاستقراء الناقص، أو عدم علمه بالمخالف، ومنهم من ليس من أهل الاستقراء أصالة، ومنهم من يدعي الإجماع في مسائل فيها خلاف مشهور لا يكاد يخفى على طالب علم، ومنهم من ينقل الإجماع ويريد به إجماع أهل مذهبه، أو إجماع أصحاب المذاهب الأربعة، أو إجماع أهل بلدة خاصة....

قال ابن حزم في المحلى (١/ ٢١٠): "ودعوى الإجماع بغير يقين، كذب على الأمة كلها، نعوذ بالله من ذلك."

وانظر لنقل الزركشي في البحر المحيط (٦/ ٣٨٤) عن الشيخ أبي إسحاق الإسفراييني تعلم عظم هذه الدعوى قال: "وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني في " شرح الترتيب ": نحن نعلم أن مسائل الإجماع أكثر من عشرين ألف مسألة.

وبهذا يرد قول الملحدة إن هذا الدين كثير الاختلاف، إذ لو كان حقًّا لما اختلفوا فيه، فنقول: أخطأت بل مسائل الإجماع أكثر من عشرين ألف مسألة.

ثم لها من الفروع التي يقع الاتفاق منها وعليها، وهي صادرة عن مسائل الإجماع التي هي أصول أكثر من مائة ألف مسألة، يبقى قدر ألف مسألة هي من مسائل الاجتهاد."

فقد ادعى الشيخ أبو إسحاق الإسفراييني أن مسائل الاجماع تبلغ أصولها عشرين ألف مسألة، وأن فروعها التي تنبني عليها مائة ألف مسألة، وهو من هو منزلة.

وهذه الدعوى فيها كثير من التساهل ولو تُؤُوِّل له، أما أن مسائل الإجماع كثيرة فنعم، وأما أنها تبلغ هذا القدر فلا، ولا قريب منه.

قال شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (٣/ ٣٧٠):

"ولا تعبأ بما يُفرض من المسائل ويُدَّعى الصحة فيها بمجرد التهويل، أو بدعوى أن لا خلاف في ذلك.

وقائل ذلك لا يعلم أحداً قال فيها بالصحة، فضلاً عن نفي الخلاف فيها.

وليس الحُكْمُ فيها من الجَلِيّات التي لا يُعذر المخالف فيها.

وفي مثل هذه المسائل قال الإمام أحمد: "من ادعى الإجماع فهو كاذب.

فإنما هذه دعوى بشر وابن علية يريدون أن يبطلوا السنن بذلك".

يعني الإمام أحمد أن المتكلمين في الفقه من أهل الكلام إذا ناظرتهم بالسنن والآثار، قالوا: هذا خلاف الإجماع"

المطلب الخامس: توجيه ما ورد عن الإمام أحمد -رحمه الله- فيما ظاهره رد الإجماع وتأويل أهل العلم لذلك:

جاء عن أحمد ما يوهم رده للإجماع، وتعذر نقله، والإنكار على من نقله فمن ذلك:

ما نقله عبد الله بن أحمد بن حنبل (مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله (ص ٤٣٨، ٤٣٩): "سمعت أبي يقول: ما يدعي الرجل فيه الإجماع هذا الكذب، من ادعى الإجماع فهو كذب، لعل الناس قد اختلفوا، هذا دعوى بشر المريسي والأصم، ولكن لا يعلم الناس يختلفون، أو لم يبلغه ذلك ولم ينته إليه، فيقول لا يعلم الناس اختلفوا".

وقال المروذي: "قال أحمد: كيف يجوز للرجل أن يقول: أجمعوا؟! إذا سمعتهم يقولون: أجمعوا فاتهمهم، لو قال: إني لم أعلم لهم مخالفاً جاز."

وقال أبو طالب: قال أحمد: "هذا كذب ما عَلَّمَه أن الناس مجمعون؟ ولكن يقول: لا أعلم فيه اختلافاً فهو أحسن من قوله: إجماع الناس".

وقال أبو الحارث: "قال أحمد: لا ينبغي لأحد أن يدعي الإجماع لعل الناس اختلفوا" (قلتُ: انظر هذه النقول الثلاثة في العدة (٤/١٠٦٠)، والمسودة (ص ٣١٥، ٣١٦)،و أعلام الموقعين (٢/٢٤٧،٢٤٨)).

وهذا محمول كما مرَّ على من توسع جدًا في دعوى الإجماع حتى ادعاه لمجرد عدم علمه بالخلاف.

وقد تقرر عند العلماء عامة وعند الحنابلة خاصة أن الإمام أحمد يرى حجية الإجماع وقد استدل به في كثير من المسائل فمنها:

ما نقله ابن قدامة في المغني صريحًا (٤/٧٧/ ١٢٧٠): "قال في رواية الأثرم يعني الإمام أحمد: أما المقيم إذا ذكرها في السفر، فذاك بالإجماع يصلي أربعًا، وإذا نسيها في السفر، فذكرها في الحضر، صلى أربعًا بالاحتياط، فإنما وجبت عليه الساعة. فذهب أبو عبد الله رحمه الله، إلى ظاهر الحديث: " فليصلها إذا ذكرها».

وما نقله الحافظ في فتح الباري (٤/٢٧٢): "وقال أبو داود عن أحمد: لا أعلم عن أحد من العلماء خلافًا أنه مسنون».

المطلب السادس: أنواع الإجماع

قسم أهل العلم الإجماع باعتبارات مختلفة منها:

١- باعتبار ذاته، قسموه إلى قسمين:

إجماع صريح (قولي، أو عملي، أو إقراري، أو مركب منهم).

إجماع سكوتي(وهو العلم بعدم المخالف، أو عدم العلم بالمخالف).

٢- باعتبار أهله، ينقسم إلى قسمين:

إجماع عامة.

إجماع خاصة.

٣- باعتبار عصره، ينقسم إلى قسمين:

إجماع الصحابة (وهذا النوع هو الذي يحتج به داود الظاهري دون غيره، وهذا القول: غير مرضي عند عامة أهل العلم.)

إجماع غير الصحابة.

٤- باعتبار نقله، ينقسم إلى قسمين:

متواتر.

آحاد.

ما اختُلف في عده إجماعًا:

وما سَبق من تعريف الإجماع بشروطه الخمسة ذُكِر بها مختصرًا، هو المعتمد في دعوى الإجماع، وقد ادعى بعض أهل العلم انعقاد بعض أنواع الإجماع مع مخالفة الشرط الأول خاصة: اتفاق الأمة فمنها:

١- قول الأكثر مع مخالفة الواحد أو الاثنين حجة عند جمع من أهل العلم منهم:

ابن المنذر.

ابن جرير الطبري.

محمد بن نصر المروزي.

ابن عبد البر.

أبو بكر الرازي الحنفي.

أبو الحسين الخياط.

أحد الروايتين عن أحمد.

ابن خويز منداد المالكي.

وهو اختيار الجويني، والغزالي، والآمدي، وابن الحاجب، ابن حمدان الحنبلي.

ولابن المنذر من هذا النوع: ١٢٤ مسألة، تبدأ من المسألة: ٣، وتنتهي بالمسألة: ٧٤٦ في كتابه الإجماع.

٢- إجماع العشرة المبشرين بالجنة.

٣- إجماع الأربعة (أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم).

٤- إجماع الشيخين (أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما).

٥- إجماع العترة (والمراد بالعترة: أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم خاصة).

٦- إجماع أهل الحرمين.

٧- إجماع أهل المدينة.

٨- إجماع أهل الكوفة.

٩- إجماع أهل البصرة.

١٠- الإجماع على أقل ما قيل.

١١- الإجماع على أكثر ما قيل.

المطلب السابع: من أهم الكتب التي تنقل الإجماع:

اهتم عدد غير قليل من أهل العلم بنقل الإجماع وتتبعه في مصنفاتهم ومن أكثرهم نقلاً للإجماع: الطحاوي في شرح معاني الآثار، وابن عبد البر في كتابيه التمهيد والاستذكار، وابن المنذر في كتبه الإشراف والأوسط،والإقناع، والماوردي في الحاوي الكبير، والطبري في اختلاف الفقهاء وتهذيب الآثار، والمروزي في اختلاف العلماء، وابن رشد الجد والحفيد، والنووي في المجموع، وابن قدامة في المغني، والحافظ ابن حجر

في الفتح، وغيرهم من أهل العلم سواء نقلوا الإجماع عن غيرهم أو استقرؤوه بأنفسهم، وإنما ذكرت هنا بعض من كان له اهتمام خاص بنقل الإجماع.

وقد أفرد بعض أهل العلم مسائل الإجماع بمصنفات خاصة فمن أهمها:

كتاب الإجماع لابن المنذر:

والإمام أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر إليه المنتهى في نقل الإجماع وفي معرفة مذاهب علماء الأمصار، لذا أكثر أهل العلم جدًا من النقل عنه في هذين الأمرين.

قال النووي في المجموع (١/١٩): "وأكثر ما أنقله من مذاهب العلماء من كتاب الإشراف والإجماع لابن المنذر وهو الإمام أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الشافعي القدوة في هذا الفن."

وقال ابن تيمية " مجموع الفتاوى جمع ابن القاسم" (٢١/٥٥٩): "وقال أبو بكر بن المنذر، وعليه اعتماد أكثر المتأخرين في نقل الإجماع والخلاف."

مادة كتاب الإجماع لابن المنذر:

مادة كتاب الإجماع استخرجها ابن المنذر رحمه الله تعالى بعد التحرير التام من ثلاثة كتب له وهي:

الأول: الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف.

ومن أحسن طبعاته طبعة دار الفلاح، راجعه وعلق عليه: أحمد بن سليمان، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ.

الثاني: الإشراف على مذاهب العلماء.

تحقيق: صغير أحمد الأنصاري أبو حماد، الناشر: مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة- الإمارات.

الثالث: الإقناع.

تحقيق د. عبد الله الجبرين، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ١٤١٤هـ.

و كلها بفضل مطبوع كما سبق، وقد خدمت هذه الكتب الخدمة التي تستحقها، خلا كتاب الإجماع فإنه ما زال بحاجة لمن يخدمه الخدمة اللائقة به.

قال أبو حماد صغير أحمد في مقدمة كتاب الأوسط (١/٣٦) عن كتاب الإجماع: "جمع فيه المؤلف المسائل المجمع عليها، ومعظمها مستنبطة من آيات القرآن، وأحاديث الرسول، وآثار الصحابة، وهي كلها مذكورة في كتاب: الأوسط، والإشراف، والإقناع ومستخرجة منها».

- عدد المسائل التي نقل فيها الإجماع: ٧٦٧ مسألة.
- عدد المسائل التي نقل فيها الإجماع مع مخالفة الواحد أو الاثنين: ١٢٤ مسألة.
- الأبواب التي ذكر أنه لا إجماع فيها خمسة أبواب وهي:

كتاب المتعة، قال: لم يثبت فيه إجماع.
كتاب اللقطة، قال: لم يثبت فيه إجماع.
كتاب العمرى والرقبى قال: لم يثبت فيه إجماع.
كتاب الساحر والساحرة
وكتاب تارك الصلاة، قال: لم أجد فيهما إجماعًا.

هذا ما يسره الله في هذا المقال، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

تهنئة واجبة

أسرة مجلة التوحيد تهنئ الباحث /محمد محمد علي جميل؛ لحصوله على الماجستير بتقدير جيد جيدًا، من كلية الزراعة جامعة الزقازيق، وقد تكونت لجنة المناقشة من: أ. د/ سيد مجدي الحفناوي، وأ. د/ فريد محمد سامي، وأ. د/ محمد ممتاز جاد. وتهنئة خاصة من الزميل/ محمد محمود فتحي متمنياً له دوام التقدم والنجاح.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

السعادة الحقيقية في هداية القرآن

قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ»

(يونس: ٥٧- ٥٨).

من أقوال آل البيت في الصحابة

عن عبد الجبار بن العباس الهمداني أن جعفر بن محمد سئل عن أبي بكر وعمر، فقال: "إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة"

(سير أعلام النبلاء).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان في حاجة الناس

عن أنس بن مالك قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم رحيمًا، وكان لا يأتيه أحدٌ إلا وعده، وأنجز له إن كان عنده، وأقيمت الصلاة، وجاءه أعرابي فأخذ بثوبه فقال: إنما بقي من حاجتي يسيرة؛ وأخاف أنساها، فقام معه حتى فرغ من حاجته، ثم أقبل فصلى" (صحيح الأدب المفرد للألباني).

من دلائل النبوة

الملائكة تقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم في معاركه

عن سعد بن أبي وقاص-رضي الله عنه- قال: رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل". (متفق عليه).

من فضائل الصحابة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أهل الدرجات العلى يراهم من أسفل منهم كما يُرى الكوكب الطالع في الأفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما». (سنن ابن ماجه ٩٦ وصححه الألباني).

من حكمة الشعر في حسن السيرة

وأحسن الحالات حال امرئ
تطيب بعد الموت أخبارُه
يفنى ويبقى ذكره بعده
إذا خلت من شخصه دارُه
(عيون الأخبار)

حكم ومواعظ

قيل لمحمد بن واسع: إنك لترضى بالدُّون؟ فقال: "إنما رضي بالدّون من رضي بالدنيا".

وقال سفيان: "ترك لكم الملوك الحكمة فاتركوا لهم الدنيا". (عيون الأخبار).

إعداد/ علاء خضر

من سِيَر الخلفاء

قال الوليد لعبد الملك: يا أبت!! ، ما السياسة؟ قال: "هيبة الخاصّة مع صدق مودّتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنّائع" (عيون الأخبار).

من أقوال السلف

عن علي رضي الله عنه قال: "ثلاثة لا يقبل معهن عملٌ: الشرك، والكفر، والرأي، قالوا: يا أمير المؤمنين، ما الرأي؟ قال: تدع كتاب الله وسنة رسوله، وتعمل بالرأي". (كنز العمال).

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُكثر أن يقول: "يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك"، فقلت: يا رسول الله! آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: نعم؛ إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء". (سنن الترمذي).

من معاني الأحاديث

ومنها لفظة : (دمن) رويت في حديث "إياكم وخضراء الدمن"، الدمن جمع دمنة، وهي ما تدمنه الإبل والغنم بأبوالها وأبعارها، أي تلبده في مرابضها، فربما نبت فيها النبات الحسن النضير. (النهاية لابن الأثير).

والحديث ضعيف جداً

موقف العلماء من الاحتفال بالمولد النبوي

ذكر العلامة محمد حامد الفقي (مؤسس جماعة أنصار السنة) بدع الاحتفال بمولد النبي ورفع القباب والقبور، ثم قال: "وهذه البدع كلها أول من ابتدعها الدولة اليهودية الباطنية المجرمة الخبيثة الفاسدة المفسدة دولة العبيديين المتسماة كذبًا وزورًا وخداعًا وتغريرًا باسم" الفاطميين "وهي بريئة منهم. (مجلة الهدي النبوي).

خلق سيئ فاحذره

(النميمة)

قال الحسن البصريّ-رحمه الله تعالى-: "من نمّ إليك نمّ عليك" (نضرة النعيم).

خلق حسن فالزمه

(العفاف)

قال لقمان الحكيم-رحمه الله تعالى-: "حقيقة الورع العفاف".

(الورع لابن أبي الدنيا)

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

(الحلقة ٧٨)

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

الطلاق في الحيض

الحلقة الرابعة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

ما زال حديثنا موصولاً حول الطلاق في الحيض، ونحن ننظر نظرة متأنية بغية تحرير المسألة والوقوف على كلام أهل العلم فيها. ولقد وصلنا في الحلقة السابقة إلى الدليل التاسع من أدلة الجمهور القائلين بوقوع الطلاق في الحيض، وهو ما أخرجه الإمام مسلم بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأة له وهى حائض تطليقة واحدة.... الحديث (سبق بتمامه في الحلقة السابقة)، ورأينا أن لفظة (تطليقة واحدة) فيها رد على من قال: إن لفظة (وهي واحدة) في حديث ابن أبي ذئب عن نافع (سبق) تعود على الطلقة التي ستقع في الطهر. وأن الضمير في الحديث يعود على أقرب مذكور- كما ذكرنا القاعدة في ذلك في الحلقة السابقة .. ونستأنف البحث بحول الله تعالى:

إعداد/ **متولي البراجيلي**

يقول الإمام النووي في شرحه على مسلم: "أما قوله: (أمرني بهذا) فمعناه أمرني بالرجعة، وأما قوله: (أما أنت): فقال القاضي عياض -رحمه الله- هذا مشكل. قيل إنه بفتح الهمزة من (أما) أي: أما إن كنت، فحذفوا الفعل الذي يلي أن، وجعلوا ما عوضا من الفعل، وفتحوا أن وأدغموا النون في ما وجاءوا بأنت مكان العلامة في كنت، ويدل عليه قوله بعده: وإن كنت طلقتها ثلاثاً فقد حرمت عليك (شرح النووي على مسلم ١٠/٦٥ ــ ٦٦).

نظرة إلى سند الحديث ومتنه:

أولاً: السند: مسلسل بالثقات الأثبات: يحيى بن يحيى التميمي: ثقة ثبت إمام (تقريب التهذيب ص٥٩٨)، قتيبة بن سعيد: ثقة ثبت (السابق ص ٤٥٤)، ابن رمح: محمد بن رمح ابن المهاجر: ثقة ثبت (السابق ص٤٧٨)، الليث بن سعد: ثقة ثبت فقيه إمام مشهور (السابق ص٤٦٤)، نافع: أبو عبد الله المدني: مولى ابن عمر ثقة ثبت فقيه مشهور (السابق ص ٥٥٩)، والزيادة التي في رواية ابن رمح، هل تحتمل منه أم لا؟ بمعنى هل هي من قبيل زيادة الثقة ؟ وهل زيادة الثقة تقبل على إطلاقها؟

يقول الحافظ ابن حجر عن قبول زيادة الثقة: شرطه أن يكون الراوي عدلاً ضابطا، ثم قال: والحق في هذا أن زيادة الثقة لا تقبل دائماً، ومن أطلق ذلك من الفقهاء والأصوليين (أي: قبولها بإطلاق) فلم يصب، وإنما يقبلون ذلك إذا استووا في الوصف، ولم يتعرض بعضهم لنفيها لفظاً أو معنى (النكت على كتاب ابن

الصلاح ٢/٦١٢-٦١٣).

فذكر الحافظ شرطين:

١- الاستواء في الوصف، وهذا متوافر في ابن رمح فهو في أعلى درجات التوثيق (قال فيه الإمام النسائي: ما أخطأ في حديث واحد، ولو كتب عن مالك لأثبته في الطبقة الأولى من أصحابه. (تهذيب التهذيب ٩/١٦٥).

٢- عدم التعرض لروايات الآخرين بالنفي، وابن رمح زاد في روايته ولم ينف ما قاله الآخرون. فتحقق الشرطان في زيادة ابن رمح.

ثانيا المتن: أعلوه بذات العلة في الأحاديث السابقة أن احتساب الطلقة ليس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من قول وفعل عمر أو ابن عمر رضي الله عنهما.

ويجاب عن ذلك بما سبق أن قلنا: إن الأصل عدم الإعلال، وأن هذا تشريع لا يقال بالرأي: أو الاستحسان.

وهذا الدليل متوجه للجمهور الذين قالوا بوقوع الطلاق في الحيض.

١٠- قولهم: إن الطلاق البدعي مندرج تحت الآيات العامة للطلاق، ولا يوجد ما يخرجه عن آيات عموم الطلاق. وهذا القول للجمهور، استدل به المانعون لوقوع الطلاق في الحيض أيضا، حيث قالوا: إن الطلاق البدعي لا يقع تحت الآيات العامة في الطلاق، لأنه ليس من الطلاق الذي أذن الله به، بل هو من الطلاق الذي أمر الله بخلافه.

أدلة المانعين بوقوع الطلاق في الحيض:

١- أمر الرسول صلى الله عليه وسلم برد الطلاق (المراجعة) فهذا يشعر بعدم وقوعه، وفى الحديث عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» (متفق عليه).

قلت: وهذا وجه احتمال، بدليل قولهم " يشعر "؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم تغيظ لوقوع الطلاق في الحيض لأنه خلاف ما أمر الله به المسلمين في الطلاق، وأمره صلى الله عليه وسلم لابن عمر بالمراجعة، ليس فيه دليل يرجح عدم وقوع الطلاق، بل إن الجمهور - كما رأينا - قالوا عن المراجعة إنها دليل وقوع الطلاق، وإلا ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر بها. والحديث المستدل به (كل عمل ليس عليه أمرنا....) لا يعارض وقوع الطلاق في الحيض طالما أن النبي صلى الله عليه وسلم احتسب تطليقة ابن عمر، وبالتالي صار الطلاق في الحيض داخلاً في «أمرنا» وهو منه وليس مردودًا.

٢- قولهم أن الطلاق البدعي لا يندرج تحت الآيات العامة للطلاق لأن الله تعالى لم يأذن به وأمر بخلافه، وهذا الاستدلال أورده الجمهور - أيضا كما سبق - وقالوا بأنه لا يوجد ما يخرج طلاق البدعة عن آيات عموم الطلاق. فالدليل تطرق إليه احتمال ما ذهب إليه الفريقان، ومن المعلوم أن الدليل من كتاب الله تعالى إذا تنازع فيه كل فريق وأورده في أدلته، فيكون الترجيح بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فالسنة كما هو معلوم: تخصص عموم القرآن، وتقيد مطلقه، وتفسر مجمله.... وهذا سيعود بنا إلى ما سبق أن بيناه: هل الشروط التي اشترطها الشرع في الطلاق هي شروط صحة وإجزاء أم هي شروط كمال وتمام؟ (تراجع المقالة الأولى).

٣- ما رواه ابن حزم في المحلى، بسنده المتصل عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه قال في الرجل يطلق امرأته وهي حائض: لا يعتد لذلك.

أولا: سند الحديث كما أورده ابن حزم:

نا يونس بن عبيدالله، نا ابن عبدالله بن عبد الرحيم، نا أحمد بن خالد، نا محمد بن عبدالسلام الخشني، نا ابن بشار، نا عبدالوهاب بن عبد المجيد الثقفي، نا عبيدالله بن عمر عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر:..الحديث المحلى ٩/٣٧٥).(«نا» اختصار وحدثنا)

رجال السند:

١- يونس بن عبيدالله: لم أجده في هذه الطبقة، فلعله تصحيف، والصحيح: يونس بن عبدالله بن مغيث، وهو من أهل العلم بالفقه والحديث، كثير الرواية، ذو ذهن ثابت، وعني بالحديث جدا (انظر سير الأعلام ١٧/٥٦٩-٥٧٠، قضاة الأندلس ١/٩٥-٩٦، كشف الظنون ٢/١٧٠٦).

٢- أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم: أبو عمر أحمد بن عبد الله اللخمي المحدث المتقن.... ذكره ابن الفردي، فقال: سمع الناس منه كثيرا، وكان ثقة خيارا كان من أوثق ما كتبنا عنه (انظر سير الأعلام ١٦/٤٢٥-٤٢٦).

٣- أحمد بن خالد: ابن الجبّاب: الإمام الحافظ، الناقد، محدث الأندلس، وكان في الحديث لا ينازع، قال بعضهم: ما أخرجت الأندلس حافظا مثل ابن الجباب وابن عبدالبر (انظر سير الأعلام ١٥/٢٤٠-٢٤١، لسان الميزان ١/٤٢٢، تاريخ علماء الأندلس ١/٤٢).

٤- محمد بن عبد السلام الخشني: الإمام الحافظ المتقن: أحد الثقات الأعلام (انظر سير الأعلام ١٣/٤٥٩) تذكرة الحفاظ ٢/١٦٣-١٦٤).

٥- محمد بن بشار: بندار ثقة (تقريب التهذيب ص ٤٦٩).

٦- عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي: ثقة، تغير قبل موته بثلاث سنين، لكن اختلاطه هنا غير مؤثر لأنه لم يحدث بعد اختلاطه (تقريب التهذيب ص ٣٦٨، انظر الكواكب النيرات ١/٣١٤-٣١٨).

٧- عبيدالله بن عمر: ثقة ثبت (تقريب التهذيب ص ٣٧٣).

٨- نافع مولى ابن عمر: ثقة ثبت فقيه مشهور (السابق ص٥٥٩) فالإسناد صحيح وقد أورده ابن القيم في الزاد في رده على القائلين بوقوع الطلاق في الحيض، وقال: فلو كان هذا الأثر من قبلكم لصلتم به وجلتم (زاد المعاد ٥/٢١٨).

وذكره أيضاً في تعليقاته على سنن أبي داود، وقال: ذكره الإشبيلي في الأحكام من طريق محمد بن عبد السلام الخشني، قال: حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي حدثنا عبدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر....الحديث، وقال: هذا إسناد صحيح. (انظر عون المعبود و حاشية ابن القيم ٦/١٧١).

وقال الشيخ أحمد شاكر: وهذا إسناد صحيح جداً (نظام الطلاق في الإسلام ص٢٠) وكذلك صديق حسن خان في الروضة الندية: قال: إسناده صحيح (الروضة الندية ٢/٤٩).

ثانيًا: متن الحديث:

قال ابن عبد البر: واحتج بعض من ذهب إلى أن الطلاق لا يقع (في الحيض) بما روي عن الشعبي، قال: إذا طلق الرجل امرأته وهي حائض لم يعتد بها في قول ابن عمر. قال ابن عبد البر: وليس معناه ما ذهب إليه، وإنما معناه لم تعتد المرأة بتلك الحيضة في العدة، كما روي ذلك عنه منصوصا أنه قال يقع عليها الطلاق، ولا تعتد بتلك الحيضة. قال الحافظ ابن حجر: وقد روى عبد الوهاب الثقفي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر نحوا ما نقله ابن عبد البر عن الشعبي، أخرجه ابن حزم بإسناد صحيح، والجواب عنه مثله (فتح الباري ٩/٣٥٤).

قلت: والحديث بروايته هذه يحتمل ما ذهب إليه المجوزون لوقوع الطلاق في الحيض، وأن الضمير في قوله (لا يعتد بذلك) يقع على الحيضة التي وقع فيها الطلاق. ويحتمل أيضا ما قاله المانعون لوقوع الطلاق في الحيض، وأن الضمير في قوله (لا يعتد بذلك) يعود على التطليقة. فالدليل متنازع فيه بين الفريقين، وليس صريحا في احتساب التطليقة أو عدم احتسابها. لكن وردت رواية لهذا الحديث عند ابن أبي شيبة أطول من هذه الرواية:عن ابن عمر، في الذي يطلق امرأته وهي حائض، قال: لا تعتد بتلك الحيضة.

ففي هذه الرواية يكون السؤال عن الحيضة هل تحتسب من العدة أم لا؟ ولا علاقة لها بالسؤال عن الطلاق.

والحديث من نفس مخرج حديث ابن حزم، وبالتالي فلا حجة فيه للقائلين بعدم وقوع الطلاق في الحيض، والله أعلم. (مصنف ابن أبي شيبة ح١٧٧٥٢).

٤- زيادة أبي الزبير، قال عبد الله بن عمر: فردها عليّ ولم يرها شيئاً . وهذا الدليل هو أقوى ما احتج به المانعون لوقوع الطلاق في الحيض، وسننظر في سنده ومتنه وكلام العلماء حوله.

أولاً: سند الحديث: عن أبي الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن - مولى عروة- يسأل ابن عمر، وأبو الزبير يسمع، قال: كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضاً؟ قال: طلق عبدالله ابن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إن عبدالله ابن عمر طلق امرأته وهي حائض، فردها عليّ، ولم يرها شيئا، وقال: إذا طهرت فليطلق أو ليمسك قال ابن عمر: وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في (قُبل) عدتهن) (رواه أبو داود، ومسلم والنسائي بغير زيادة أبي الزبير (ولم يرها شيئاً) قال أبو داود عقب إيراد الحديث: روى هذا الحديث عن ابن عمر: يونس بن جبير وأنس بن سيرين، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، وأبو الزبير، ومنصور عن أبي وائل، معناهم كلهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك، وروى عطاء الخراسانى عن الحسن عن ابن عمر نحو رواية نافع والزهري، والأحاديث كلها على خلاف ما قاله أبو الزبير.

قلت (الألباني) كذا قال، وأبو الزبير ثقة حجة، وإنما يخشى منه العنعنة، لأنه كان مدلسا، وهنا قد صرح بالسماع، فأمنا شبهة تدليسه، وصح بذلك حديثه، والحمد لله (إرواء الغليل ١٢٩/٧).

قال الحافظ في الفتح: وأعظم ما احتجوا به ما وقع في رواية أبي الزبير عن ابن عمر عند مسلم وأبي داود والنسائي، وفيه: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليراجعها، فردها وقال: إذا طهرت فليطلق أو يمسك... لفظ مسلم وللنسائي وأبي داود فردها عليّ، زاد أبو داود (ولم يرها شيئاً)، وإسناده على شرط الصحيح، فإن مسلماً أخرجه من رواية حجاج بن محمد عن ابن جريج، وساقه على لفظه، ثم أخرجه من رواية أبي عاصم عنه، وقال: نحو هذه القصة، ثم أخرجه من رواية عبد الرزاق عن ابن جريج، قال: مثل حديث حجاج وفيه بعض الزيادة، فأشار إلى هذه الزيادة، ولعله طوى ذكرها عمداً، وقد أخرج أحمد الحديث عن روح بن عبادة عن ابن جريج فذكرها، فلا يتخيل انفراد عبد الرزاق بها..... (فتح الباري ٣٥٤/٩).

وقد قال فريق من أهل العلم عن زيادة أبي الزبير: إنها منكرة، فقال ابن عبد البر: قوله، «ولم يرها شيئاً» منكر، لم يقله غير أبي الزبير وليس بحجة فيما خالفه فيه مثله فكيف بمن هو أثبت منه، ولو صح فمعناه عندي-والله أعلم- ولم يرها شيئاً مستقيماً؛ لكونها لم تقع على السنة.

وقال الخطابي: قال أهل الحديث لم يرو أبو الزبير حديثا أنكر من هذا ، وقد يحتمل أن يكون معناه ولم يرها شيئاً تحرم معه المراجعة أولم يرها شيئاً جائزاً في السنة..... ونقل البيهقي في المعرفة عن الشافعي أنه ذكر رواية أبي الزبير، فقال: نافع أثبت من أبي الزبير، والأثبت من الحديثين أولى من يؤخذ به إذا تخالفا وقد وافق نافعاً غيره من أهل التثبت، ثم أول الشافعي زيادة أبي الزبير: أنه لم يعدها شيئاً صواباً (انظر فتح الباري ٣٥٤/٩).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

(أحكام الصلاة)

التشهد في الصلاة

(حكمهما - صفتهما - ما يقال فيهما)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تكلمنا في اللقاء السابق عن صيغ التشهد الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونتكلم في هذا العدد عن هيئة وصفة الجلوس في التشهد الأول والأخير.

إعداد/ **د. حمدي طه**

هيئة الجلوس للتشهد وردت لها صور في عدة أحاديث، وقد بين أهل العلم ما يتعلق بهذه الصور من حيث الإجزاء والأفضلية ، ونبدأ بذكر الأحاديث التي عليها مدار هيئة الجلوس للتشهد.

الحديث الأول: عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ عَنِ النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم- في قِصَّةِ (المُسِيءِ صَلاَتَه) وَقَالَ فِيهِ «فَإِذَا جَلَسْتَ فِي وَسَطِ الصَّلاَةِ فَاطْمَئِنَّ وَافْتَرِشْ فَخِذَكَ الْيُسْرَى ثُمَّ تَشَهَّدْ ثُمَّ إِذَا قُمْتَ فَمِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْ صَلاَتِكَ». (رواه أبو داود ح ٨٦٠) قال الألباني: حسن.

الحديث الثاني: عن محمد بن عمرو بن عطاء: (أنه كان جالسا في نفر من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) فذكرنا صلاة النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال أبو حميد الساعدي: أنا كنت أحفظكم لصلاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، رأيته إذا كبر جعل يديه حذو منكبيه وإذا ركع أمكن يديه من ركبتيه، ثم هصر ظهره، فإذا رفع رأسه استوى حتى يعود كل فقار مكانه، فإذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا قابضهما، واستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة، فإذا سجد في الركعتين جلس على رجله اليسرى، ونصب اليمنى، فإذا جلس في الركعة الآخرة قدم رجله اليسرى، ونصب الأخرى وقعد على مقعده. (رواه البخاري في صحيحه ١/٢١٢-٢١٣).

وفي رواية لأبي داود (٧٣٠) عن أبي حميد الساعدي قال سمعته- وهو في عشرة من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم)، أحدهم أبو قتادة بن ربعي- يقول: أنا أعلمكم بصلاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قالوا: ما كنت أقدمنا له صحبة، ولا أكثر له إتيانا!! قال: بلى، قالوا: فاعرض، فقال: الحديث.... وفيه (حتى كانت الركعة التي تنقضي فيها صلاته، أخر رجله اليسرى وقعد على شقه متوركا، ثم سلم قالوا صدقت هكذا كان يصلي صلى الله عليه وسلم). وفي رواية للترمذي إن رسول الله صلى الله عليه و سلم جلس يعني للتشهد فافترش رجله اليسرى وأقبل بصدر اليمنى على قبلته ووضع كفه اليمنى على ركبته اليمنى وكفه اليسرى على ركبته اليسرى، وأشار بإصبعه يعني السبابة قال (أبو عيسى): وهذا حديث حسن صحيح وبه يقول بعض أهل العلم.

قلت: وحديث أبي حميد الساعدي أصل في بيان سنن وهيئات الصلاة وإليه المرجع في الترجيح لأنه ورد على جهة التعليم، وكان بمحضر من جمع من الصحابة رضي الله عنهم.

الحديث الثالث: عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ قَالَ: قُلْتُ: لأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- كَيْفَ يُصَلِّى فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَكَبَّرَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى حَاذَتَا

بِأُذُنَيْه، ثُمَّ أَخَذَ شِمَالَهُ بِيَمِينِه، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ رَفَعَهُمَا مِثْلَ ذَلِكَ،- قَالَ- ثُمَّ جَلَسَ فَافْتَرَشَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى، وَحَدَّ مِرْفَقَهُ الأَيْمَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى وَقَبَضَ ثِنْتَيْنِ وَحَلَّقَ حَلْقَةً وَرَأَيْتُهُ يَقُولُ هَكَذَا وَحَلَّقَ بِشْرٌ الإِبْهَامَ وَالْوُسْطَى وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ. رواه أبو داود (٩٥٨).

ورواه أحمد ولفظه «... ثم قعد فافترش رجله اليسرى، فوضع كفه اليسرى على فخذه وركبته اليسرى، وجعل حدَّ مرفقه الأيمن على فخذه اليمني، ثم قبض بين أصابعه، فحلّق حلقةً ثم رفع أصبعه، فرأيته يحرِّكها يدعو بها».

الحديث الرابع: عن أبي الجوزاء عن عائشة قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين، وكان إذا ركع لم يرفع رأسه ولم يصوبه وكان بين ذلك، وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائما، وإذا رفع رأسه من السجود لم يسجد حتى يستوي جالسا، وكان يقول في كل ركعتين التحية، وكان يفرش رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى وكان ينهى عن عقب الشيطان وكان ينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع وكان يختم الصلاة بالتسليم) رواه أحمد ومسلم وأبو داود.

قال الألباني: وهذا الإسناد ظاهره الصحة، ولذلك أخرجه مسلم ثم أبو عوانة في صحيحيهما، لكنه معلول، فقال الحافظ ابن عبد البر في (الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف): (رجال إسناد هذا الحديث كلهم ثقات إلا أنهم يقولون (يعني أئمة الحديث): إن أبا الجوزاء لا يعرف له سماع من عائشة وحديثه عنها إرسال.

الحديث الخامس: عن عبدِ اللهِ بن الزبير رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ-صلى الله عليه وسلم- إِذَا قَعَدَ فِي الصَّلاَةِ جَعَلَ قَدَمَهُ الْيُسْرَى بَيْنَ فَخِذِهِ وَسَاقِهِ وَفَرَشَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ. رواه أحمد ومسلم ورواه النسائي بلفظ فيه اختلاف، وجاء فيه «وأشار بالسَّبَّابة لا يجاوز بصرُهُ إشارتَه».

الحديث السادس: عن عبد الله بن عبد الله أنه كان يرى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يتربع في الصلاة إذا جلس ففعلته وأنا يومئذ حديث السن فنهاني عبد الله بن عمر وقال: إنما سنة الصلاة أن تنصب رجلك اليمنى وتثني اليسرى. فقلت: إنك تفعل ذلك؟ فقال: إن رجلي لا تحملاني. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قال البدر العيني: لم يبين فيه ما يصنع بعد ثنيها هل يجلس فوقها أو يتورك. ووقع في (الموطأ) عن يحيى بن سعيد أن القاسم بن محمد أراهم الجلوس في التشهد فنصب رجله اليمنى وثنى اليسرى، وجلس على وركه اليسرى ولم يجلس على قدمه، ثم قال أراني هذا عبد الله بن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم، وحدثني أن أباه كان يفعل ذلك فظهر من رواية القاسم الإجمال الذي في رواية ابنه. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري١١/٣٣٩).

قال النووي: مذهبنا أنه يستحب أن يجلس في التشهد الأول مفترشا وفي الثاني متوركا، فإن كانت الصلاة ركعتين جلس متوركا، وقال مالك: يجلس فيهما متوركا، وقال أبو حنيفة والثوري: يجلس فيهما مفترشا، وقال أحمد: إن كانت الصلاة ركعتين افترش، وإن كانت أربعا افترش في الأول وتورك في الثاني ، وقال الطبري: إن فعل هذا فحسن، وإن فعل هذا فحسن، كل ذلك قد ثبت عن النبي عليه السلام. (المجموع شرح المهذب ٣/٤٤٥، وانظر الاستذكار- ابن عبد البر ١/٤٨٠).

وصفة الافتراش أن يضع رجله اليسرى على الأرض، ويجلس على كعبها، وينصب اليمنى ويضع أطراف أصابعها على الأرض موجهة إلى القبلة، والتورك أن يُخرج رجليه وهما على هيئة الافتراش من جهة يمينه، وينصب اليمنى ويمكن وركه الأيسر من الأرض ويقعد على مقعدته. (انظر المجموع شرح المهذب ٣/٤٥٠، شرح الزاد للحمد ٢٤/١٢٦).

وقد استدل أبو حنيفة والثوري على الجلوس فيهما مفترشا بحديث أبي حميد: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جلس «يعني للتشهد» فافترش و رجله اليسرى وأقبل بصدور اليمنى على قبلته) الحديث، وبحديث

عائشة وبحديثي وائل بن حجر رفاعة بن رافع. ووجه الاستدلال بهذه الأحاديث أن رواتها ذكروا هذه الصفة لجلوس التشهد ولم يقيدوه بالأول واقتصارهم عليها من دون تعرض لذكر غيرها مشعر بأنها هي الهيئة المشروعة في التشهدين جميعا،ولو كانت مختصة بالأول لذكروا هيئة التشهد الأخير ولم يهملوه لا سيما وهم بصدد بيان صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعليمه لمن لا يحسن الصلاة ، فعلم بذلك أن هذه الهيئة شاملة لهما. (انظر نيل الأوطار- الشوكاني ٢٠٩/٢).

واستدل مالك بما رواه في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن القاسم بن محمد أراهم الجلوس في التشهد فنصب رجله اليمنى وثنى رجله اليسرى، وجلس على وركه الأيسر ولم يجلس على قدمه، ثم قال: أراني هذا عبد الله بن عبد الله بن عمر وحدثني أن أباه كان يفعل ذلك وفي رواية أخرى ذكر عبد الله بن عمر أن ذلك من سنة الصلاة. (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد البر ٢٤٩/١٩).

وبحديث ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهُ التَّشَهُّدَ، فَكَانَ يَقُولُ إِذَا جَلَسَ في وَسَطِ الصَّلَاةِ وَفي آخِرِهَا عَلَى وَرِكِهِ الْيُسْرَى: التَّحِيَّاتُ إِلَى قَوْلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: ثُمَّ إِنْ كَانَ في وَسَطِ الصَّلَاةِ نَهَضَ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ تَشَهُّدِهِ، وَإِنْ كَانَ في آخِرِهَا دَعَا بَعْدَ تَشَهُّدِهِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَ، ثُمَّ يُسَلِّمَ. قال الألباني: منكر بهذا التمام. أخرجه أحمد (٤٥٩/١)، وابن خزيمة (٧٠٨/٣٥٠/١) سلسلة الأحاديث الضعيفة حديث رقم ٥٦٢٤.

واستدل الشافعي وأحمد على الجلوس في التشهد الأول مفترشا، وفي الثاني متوركا بحديثي وائل بن حجر وأبي حميد، وفيه حتى كانت الركعة التي تنقضي فيها صلاته، أخر رجله اليسرى وقعد على شقه متوركا، ثم سلم قالوا صدقت هكذا كان يصلي صلى الله عليه و سلم.) وقد ورد في الحديث الهيئتين فحملوا المطلق في الأحاديث الأخرى على المقيد في حديث أبي حميد.

قال النووي: قال الشافعي والأصحاب فحديث أبي حميد وأصحابه صريح في الفرق بين التشهدين، وباقي الأحاديث مطلقة، فيجب حملها على موافقته، فمن روى التورك أراد الجلوس في التشهد الأخير ومن روى الافتراش أراد الأول، وهذا متعين للجمع بين الأحاديث الصحيحة لا سيما وحديث أبي حميد وافقه عليه عشرة من كبار الصحابة رضي الله عنهم. (انظر المجموع شرح المهذب ٣/ ٤٥٠).

وزاد ابن قدامة: وهما متأخران عن ابن مسعود، وإنما يؤخذ بالآخر فالآخر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بيّن أبو حميد في حديثه الفرق بين التشهدين فتكون زيادة، والأخذ بالزيادة واجب. (المغني ٢ /٢٢١).

وبعد أن اتفق الشافعي وأحمد من حيث الجملة اختار الشافعي الجلوس متوركًا في كل تشهد أخير سواء كانت الصلاة ثنائية أم رباعية.

قال ابن دقيق العيد: ورجح الشافعي من جهة المعنى بأمرين ليسا بالقويين.

أحدهما: أن المخالفة في الهيئة قد تكون سببًا للتذكر عند الشك في كونه في التشهد الأول أو في التشهد الأخير.

والثاني: أن الافتراش هيئة استيفاز فناسب أن تكون في التشهد الأول؛ لأن المصلي مستوفز للقيام والتورك هيئة اطمئنان فناسب الأخير والاعتماد على النقل أولى. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد (١٤٩/١).

واختار أحمد إن كانت الصلاة أربعًا افترش في الأول، وتورك في الثاني، أما إذا كانت الصلاة ليس فيها إلا تشهد واحد فإنه يجلس مفترشاً للأصل؛ فإن الأصل أن الجلوس في الصلاة هو الافتراش كما في حديث وائل بن حجر وغيره من أحاديث الباب.

والتفصيل الذي ذهب إليه أحمد يرده قول أبي حميد في حديثه ، فإذا جلس في الركعة الأخيرة. وفي رواية لأبي داود حتى إذا كانت السجدة التي فيها التسليم. وقد اعتذر ابن القيم عن ذلك بما لا طائل تحته. (انظر نيل الأوطار- الشوكاني ٢٠٩/٢).

واعلم أخي القارئ أن الذي ذكرناه من كلام أهل العلم إنما هو في حق الرجال، أما صفة الجلوس للمرأة فقد اختلفوا هل هو كجلوس الرجل أم له هيئة مخصوصة، وأكتفي بما ورد في صحيح البخاري؛ قال الإمام البخاري: باب سنة الجلوس في التشهد وكانت أم الدرداء تجلس في صلاتها جلسة الرجل وكانت فقيهة.

والحمد لله رب العالمين.

مع القصة
في كتاب الله

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان (١٢)

هلاك يأجوج ومأجوج

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ووعده وعد الحق، وقال وقوله الصدق: « هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ » (التوبة: ٣٣)، والصلاة والسلام على النبي الأمي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إعداد/ **عبد الرزاق السيد عيد**

مر بنا فيما مضى من لقاءات الحديث عن أعمال عيسى عليه السلام بعد نزوله في آخر الزمان من كسر الصليب وقتل الخنزير وقتل الدجال الذي هو رأس الشر وأصل الفتنة والابتلاء.

وعلمنا مما سبق أن الله سبحانه سلط عيسى ابن مريم عليه وعلى أمه البتول أفضل السلام أن الله سلطه على الدجال فيذوب الدجال عندما يرى المسيح كما يذوب الملح بحيث لو تركه المسيح عيسى لمات من نفسه، لكنه سيرميه بحربته رمية واحدة فيقتله بإذن الله عند باب اللد الشرقي.

وبمقتل الدجال يتفرق أتباعه ومعظمهم من اليهود ويسلط الله عليهم جنده من المسلمين فيقتلونهم فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى خلفه اليهود إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله، وهذا جزاء من غضب الله عليه، فكل شيء في الأرض وفي السماء يغضب عليه، وقد غضب الله على اليهود ولعنهم في كل كتاب وعلى كل لسان إلا من وافقهم من أهل الباطل فهم مثل شجر الغرقد الذي يزرعه اليهود بكثرة.

وبعد مقتل الدجال وأتباعه تجتمع الأمة على عيسى عليه السلام الذي يحكم بين الناس ويكون فيهم حكمًا عدلاً وإمامًا مهديًا يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملته، وتكون الدعوة واحدة والدين واحد وهو دين الإسلام الذي هو دين جميع الأنبياء وهو الذي أرسل الله به محمدًا صلى الله عليه وسلم ليظهره على الدين كله، وتأتي مهمة عيسى عليه السلام في آخر الزمان، حيث لا يقبل من أهل الأرض إلا الإسلام، وهذا معنى أن تكون الدعوة واحدة والملة واحدة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى

لا يقبله أحد». متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

واليوم أيها الأخ الكريم نتحدث عن عمل آخر في سيرة عيسى ابن مريم الإصلاحية في آخر الزمان، وهو يتعلق بفتنة أخرى تقع لعيسى ومن معه من المسلمين، والآن نقرأ معًا الجزء الخاص بيأجوج ومأجوج مع عيسى عليه السلام، والذي جمعه الإمام الألباني رحمه الله من أحاديث صحيحة للإمام مسلم ومن مسند الإمام أحمد وغيرهما من حديث النواس بن سمعان وأبي هريرة وغيرهما، وقد ساقها المؤلف على الوجه التالي بعد أن جمع أطرافها: (وما وضعته هكذا توضيح لبعض الفقرات): «ثم يأتي عيسى ابن مريم قوماً قد عصمهم الله منه (أي من الدجال) فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة (هذا بعد مقتل الدجال)، ثم يواصل الشيخ الألباني نقل القصة من الأحاديث كما يلي:

«فبينما هو كذلك؛ إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرِّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبريا، فيشربون ما فيها، فيمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماءً، ويحصرُ نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله عليهم النَّغف في رقابهم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم.

> ”يحصرُ نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم.“

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة».

هذه قصة يأجوج ومأجوج في مسيرة عيسى عليه السلام كما جاءت في الأحاديث، وقد جمعها ورتبها الشيخ الألباني رحمه الله، ولنا معها الوقفات التالية:

١- سرد مجمل للأحاديث في نقاط يوضح بعض غوامضها.

٢- استخلاص الحقائق العلمية والفوائد الإيمانية المستفادة منها.

أولاً: عرض توضيحي لأحداث القصة في نقاط:

١- بعد أن قضى الله على الدجال بضربة من حربة عيسى عليه السلام، وطهَّر الله الأرض من شرِّه وشر أتباعه من اليهود والمشركين، وأخذ عيسى عليه السلام يتفقد أصحابه ويجمع صفوفهم ومنهم قوم من المسلمين تحصنوا من الدجال ووقاهم الله من فتنته فيمسح نبي الله عيسى عليه السلام على وجوههم مبشرًا لهم بدرجاتهم في الجنة.

٢- وبينما هو كذلك إذ أوحى الله إليه إني أخرجت عبادًا لي وهم يأجوج ومأجوج لا يستطيع أحد قتالهم فحصِّن من معك من المؤمنين بجبل الطور. والله أعلم (هكذا قال صاحب

المفهم في شرحه صحيح مسلم).

٣- يبعث الله يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون فيمرون على بحيرة طبريا فيشربون ما فيها حتى يمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه ماء، ويواصلون مسيرتهم حتى ينتهوا إلى جبل الخمر في بيت المقدس، وقد سمي بهذا الاسم لكثرة الأشجار حوله والتي تستر من خلفها كما تستر الخمر العقل، ويظن قوم يأجوج ومأجوج أنهم قتلوا من في الأرض، فيأخذهم الغرور، فيقولون: هيا نقتل من في السماء، فيرمون بسهامهم إلى السماء فيملي لهم الله، ويرد عليهم سهامهم وفيها آثار دماء.

٤- في تلك الأثناء قد اشتد الحصار على عيسى ومن معه من المسلمين، فيتوجهون إلى الله بالدعاء أن يخلصهم من شر يأجوج ومأجوج.

٥- فيرسل الله سبحانه نوعا من الدود يسمى (النغف) في رقابهم فيموتون جميعًا كنفس واحدة.

٦- ينزل عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض فيجدونها قد امتلأت من جثثهم ونتنهم فيتوجهون إلى الله بالدعاء ليطهُر الأرض منهم ومن نتنهم.

> ” إن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، وهي من علم الغيب الذي أخبره الله به. “

٧- فيرسل الله طيرًا ضخمة لها أعناق مثل أعناق الإبل الضخمة فتحمل هذه الجثث وتطرحها حيث يشاء الله، ثم يرسل الله مطرًا يعم جميع الأرض ليغسلها من آثار جثث يأجوج ومأجوج ويتركها وقد تطهرت تمامًا من نتنهم.

ثانيًا: الحقائق العلمية والدروس الإيمانية:

١- أولى هذه الحقائق أن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، وهي من علم الغيب الذي أخبره الله به وتصديق خبره صلى الله عليه وسلم من شروط الإيمان به، ونحن نصدق بخبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الوجه الذي جاء به.

وقد علمنا من النصوص المتقدمة أن زمن خروج يأجوج ومأجوج سيكون بعد نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وقت انقضاء فتنة الدجال وأتباعه، وفي هذا رد على المشككين في خروج يأجوج ومأجوج بل يشككون في وجودهم من الأساس، ويشككون في السد الذي بناه ذو القرنين والذي سيفتح في الوقت الذي أراد الله كما أخبر سبحانه في كتابه الكريم: « حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ » (الأنبياء: ٩٦)، أي: فتح السد الذي يحجز يأجوج عند الخروج حتى يأذن الله، وفي الوقت الذي يشاء، وهذا يفسره قول الحق تبارك وتعالى في سورة الكهف: « قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا » (الكهف: ٩٨)، وقد علمنا من الأحاديث التي سقناها في قصة نزول عيسى عليه السلام زمان هذا الوعد كما بيناه آنفًا.

كما في ذلك ردٌّ على الذين قالوا: إن يأجوج ومأجوج هم الترك أو المغول أو الصينيون أو الروس أو كل مفسد في الأرض، وقد خرجوا وانتهى زمانهم، وكل هذه التخرصات تدحضها

هـذه الحقائق الواضحة فقد علمنا صفاتهم وزمان خروجهم من الأحاديث الصحيحة فلا مجال لقول قائل بعد ذلك.

وثاني هذه الحقائق: مكانة الدعاء في رفع البلاء:

إن شأن الدعاء في الإسلام شأن عظيم ومكانته فيه سامية ومنزلته في رفع البلاء عالية وخصوصًا إذا فقد المرء الأسباب المادية المشروعة في رفع البلاء كما رأينا فيما تقدم، فإن الله أوحى لعيسى عليه السلام: «أني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم» أي: لا يستطيع أحد قتالهم أو ردهم، ولذلك طلب الله من نبيه عيسى أن يحصِّن المسلمين بالجبل، والله سبحانه يعلم أن يأجوج ومأجوج لن يصعدوا إلى الجبل، ولن ينتبهوا إلى وجود أحد هناك، أو لعل الله منعهم من ذلك- والله أعلم-، ولما فعل عيسى عليه السلام ما أمره الله به من أسباب يقدر عليها، ألا وهو تحصين من معه من المسلمين بجبل، ثم توجه إلى الله بالدعاء هو ومن معه من المؤمنين أن يخلصهم من شر يأجوج ومأجوج، فاستجاب دعاءهم وصرف عنهم شر القوم، وأرسل عليهم دودًا صغيرًا فأهلكتهم جميعًا مرة واحدة.

ثم توجه عيسى ومن معه من المؤمنين مرة أخرى إلى الله بالدعاء أن يطهر الأرض من جثثهم ونتنهم، فأرسل الله طيرًا حملتهم إلى حيث شاء، ثم أرسل مطرًا مدرارًا وماء طهورًا لم يترك الأرض إلا وقد جعلها كالمرآة في نقائها ونظافتها.

> ” الدعاء هو روح الدين، وزاد المؤمنين المتقين، وعنوان الخضوع والتذلل لرب العالمين، وهو حقيقة العبادة. “

وهكذا ندرك شرف الدعاء ومكانته في دفع البلاء، فالدعاء هو روح الدين، وزاد المؤمنين المتقين، وعنوان الخضوع والتذلل لرب العالمين، وهو حقيقة العبادة، وقد عرض علينا القرآن الكريم في مسيرة الأنبياء والصالحين كيف كانوا يدعون رب العالمين خوفًا وطمعًا ورغبًا ورهبًا، وسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حافلة بذلك ولولا مخافة الإطالة لعرضنا عليكم أمثلة لذلك وهي كثيرة.

ثالثا: لله تعالى جنود السماوات والأرض

نعم لله تعالى جنود السماوات والأرض يرفع البلاء عن عباده بما يشاء ويسلط أضعف خلقه على من يشاء من الطغاة والجبابرة، وانظر كيف سلط الله على هؤلاء القوم المتجبرين دودًا صغيرة الحجم عظيمة الأثر، وانظر كيف سلط على النمرود الطاغية ذبابة، فأهلكته، أو بعوضة، والله أعلم، وكيف سلط على أصحاب الفيل طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلتهم كعصف مأكول. وكيف أغرق أقواماً بالماء وخسف بآخرين الأرض، وسلط الريح على غيرهم وأهلك أقوامًا بالصيحة، فهو سبحانه إذا أراد شيئًا هيأ له أسبابه ولا يرد بأسه عن القوم الظالمين.

وعلى المؤمنين في كل زمان ومكان أن يوثقوا صلتهم بالله- سبحانه- وأن يثقوا في وعده، وأن يستجلبوا ذلك بنصرة دينه سبحانه - كما أخبر سبحانه فقال: «إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (محمد: ٧)، وقال تعالى: «إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ» (غافر ٥١).

اللهم اجعلنا من الذين يؤمنون بوعدك ويصدقون بخبرك، وخبر نبيك صلى الله عليه وسلم وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، آمين.

الخوارجُ شرُّ الخليقة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعدُ:

فإن الله تعالى بعث نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرًا ونذيرًا، ليخرج الناس بإذن ربهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراطه المستقيم، ويدلهم على الخير ويحذرهم من الشر، وقد أخبر هو صلى الله عليه وسلم بما يوضح ذلك فقال فيما رواه عنه صاحبه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا". صحيح مسلم (ح١٨٤٤).

إعداد/ **جمال عبد الرحمن**

وقد حدث في حياته صلى الله عليه وسلم أحداث ووقائع كان هديه فيها أحسن الهدي، وكان المسلمون بأشد الحاجة لمعرفة صحيح السلوك وسقيمه إزاء هذه الحوادث.

عن أبي سَعيد الخُدْريِّ رَضيَ الله عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تميم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله؛ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لي فيه فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ... آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْه مثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مثْلُ البَضْعَةِ (قطعة اللحم) تَدَرْدَرُ (تضطرب وتهتز)، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ (أي في وَقْتِ افْتِرَاقٍ يَقَعُ بَيْنَ المُسْلمينَ وَهُوَ الافْتِرَاقُ الَّذي كَانَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ رَضِيَ الله عنهما». قَالَ أَبُو سَعِيد: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالب قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِه، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْه عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الَّذي نَعَتَهُ. (صحيح البخاري؛ ح٣٦١٠).

وفي رواية مسلم عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عَنْهُ، وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا، إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَسَمَهَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلاَثَةَ الْعَامِرِيُّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلاَبٍ، وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ، قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ

اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْـه وَسَلَّم: «إني إنَّمَا فَعَلْتُ ذَلكَ لأَتَأَلَّفَهُمْ» فَجَاءَ رَجُل كَثُّ اللِّحْيَة، مُشْرِف الْوَجْنَتَيْن، غَائرُ الْعَيْنَين، نَاتِئُ الْجَبين، مَحْلُوقُ الرَّأس، فَقَالَ: اتَّق اللَّه، يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَمَنْ يُطع اللّه إنْ عَصَيْتُهُ، أَيَـأْمَـنُـنِـي عَلَـى أَهْـلِ الأَرْضِ وَلاَ تَأْمَنُوني؟» قَـالَ: ثُمَّ أَدْبَـرَ الرَّجُل، فَاسْتَأْذَنَ رَجُل منَ الْقَوْم ﴿ قَتْله- يُـرَوْنَ أَنَّـهُ خَالدُ بْنُ الْوَليد- فَقَالَ رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إنَّ منْ ضئْضئ هَـذَا قَوْمًا يَـقْـرَؤونَ الْـقُـرْآنَ لاَ يُجَاوزُ حَنَاجرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإسْلاَم، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَان، يَمْرُقُونَ منَ الإسْلاَم كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ منَ الرَّميَّة، لَئنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ». (صحيح مسلم: ح ١٠٦٤).

قـال الشـيخ أبـو شهبة ﴿ (كتابه السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة)(٢/٤٨٢):

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أن بعض النفوس عبيد الإحسان فتألفهم بذلك، وهو ضرب من ضروب السياسة الشرعية الحكيمة، ولهذا جعل الشارع الحكيم للمؤلفة قلوبهم سهمًا ﴿ الـزكـاة، ونعمّا فعل الرسول، فإن كثيرين ممن لم يسلموا قد أسلموا، وكثيرين ممن أسلموا ولم تشرب قلوبهم حب الإيمان قد صاروا بعد من أجلاء المسلمين، وأعظمهم نفعًا للإسلام. ولما قسم النبي غنائم حنين وأعطى للمؤلفة قلوبهم ما أعطى جاء رجل يقال له: (ذو الخويصرة) من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال الرسول: «ويلك، ومن يعدل إن لم أعدل؟ لقد خبت وخسرت إذا لم أعـدل»، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ائذن لي أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي: «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، دعه فإنّ له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القران لا يجاوز تراقيهم، ويمرقون من الإسـلام كما يمرق السهم من الرمية»!!.

> **”طغيـان الطاعـة والغرور بالهيئـة والمنظـر جعـل مؤسـس الخـوارج يقـول للنبي: اتـق الله واعدل، فإنك لم تعدل !!“**

ولم يكن رسول الله يفعل هذا لهوى نفسه، فحاشاه من ذلك، وإنما الأمر كما قال: «إني أعطي قومًا أخـاف هلعهم وجزعهم، وأكـل قوما إلى ما جعل الله ﴿ قلوبهم مـن الخـير والغـنـى». انتهى.

قـال ابـن حجر رحـمـه الله: "فَقَالَ أَصْحَابُهُ صلى الله عليه وسلم: أَلاَ تَضْربُ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: لاَ أُريـدُ أَنْ يَسْمَعَ الْمُشْركُونَ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابي، وَلمُسْلم منْ حَديث جَابرٍ نَحْوُ حَديث أَبي سَعيد وَفيه: فَقَالَ عُمَرُ: دَعْني يَا رَسُولَ اللّه فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافقَ؛ فَقَـالَ: مَعَـاذَ اللّه أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابي، إنَّ هَذَا وَأَصْحَابه يقرؤون الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوزُ حَنَاجرَهُمْ يَمْرُقُونَ منْهُ".

ويظهر مـن هـذا المشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسارع ﴿ تكفير هذا الشاب مع أنه قال كلمة الكفر، ولم يسارع ﴿ عقوبته مـع أنـه يستحق قطع الـرقـبـة كما طلب ذلك بعض الصحابة، وكذلك كانت نظرة النبي صلى الله عليه وسلم أعمق وأوفق، فكيف يصد الناس عن دعوته بأن يروا أنه يقتل من أسلم معه، وهذا الذي يقع فيه الكثيرون من متهوري العصر.

قال ابن حجر: لَكنَّ الْقصَّةَ الَّتي ﴿ حَديث جَابر صَرَّحَ ﴿ حَديثه بأَنَّهَا كَانَتْ مُنْصَرَفَ النَّبيِّ صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ منْ الْجعْرَانَة وَكَانَ ذَلكَ ﴿ ذي الْقَعْدَةَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَكَانَ الَّذي قَسَمَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حينَئذ فضَّةً كَانَتْ ﴿ ثَوْب بلاَل وَكَانَ يُعْطي كُلَّ مَنْ جَاءَ منْهَا. أما الْقصَّةُ الَّتي ﴿ حَديث أبي سَعيد (عند مسلم) صَرَّحَ ﴿ روَايَـة أَبي نُعَيْم عَنْهُ أَنَّهَا كَانَتْ بَعْدَ بَعْث عَليٍّ إلَى الْيَمَن وَكَانَ ذَلكَ ﴿ سَنَة تسْع، وَكَانَ الْمَقْسُومُ فيهَا ذَهَبًا، وَخَصَّ به أَرْبَعَةَ أَنْفُس. فَهُمَا قصَّتَان ﴿ وَقْـتَين، اتَّفَقَ ﴿ كُل منْهُمَا إنْكَارُ الْقَائل وَصَرَّحَ ﴿ حَديث أَبي سَعيد أَنَّـهُ ذُو الْخُوَيْصرَة

التَّميميُّ، وَلَمْ يُسَمَّ الْقَائل في حَديث جَابر وَوَهمَ مَنْ سَمَّاهُ ذَا الْخُوَيْصِرَة ظَانًا اتِّحَادَ الْقصَّتَيْن.. وَسَمَّاهُ مُحَمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ، بسَنَد حَسَن عَنْ عَبْد اللَّه بْن عُمَرَ.. فَيُمْكنُ أَنْ يَكُونَ تَكَرَّرَ ذَلكَ منْهُ في الْمَوْضعَيْن عنْدَ قَسْمَة غَنَائم حُنَيْن وَعنْدَ قَسْمَة الذَّهَب الَّذي بَعَثَهُ عَليٌّ. قَالَ الإسْمَاعيليُّ: وَالْحَديثُ في تَرْك الْقَتْل للْمُنْفَرد؛ وَالْجَميع إذَا أَظْهَرُوا رَأْيَهُمْ وَنَصَبُوا للنَّاس الْقتَالَ وَجَبَ قتَالُهُمْ.

لماذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل الخارجي؟

لا يَزَال الكلام لابن حجر قَال: وَإنَّمَا تَرَكَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَتْلَ الْمَذْكُور لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَظْهَرَ مَا يُسْتَدَلُّ به عَلَى مَا وَرَاءَهُ، فَلَوْ قَتَلَ مَنْ ظَاهرُهُ الصَّلاَحُ عنْدَ النَّاس قَبْلَ اسْتحْكَام أَمْر الإسْلاَم وَرُسُوخه في الْقُلُوب لَنَفَّرَهُمْ عَن الدُّخُول في الإسْلاَم، وَأَمَّا بَعْدَهُ صلى اللَّه عليه وسلم فَلاَ يَجُوزُ تَرْكُ قتَالهمْ إذَا هُمْ أَظْهَرُوا رَأْيَهُمْ وَتَرَكُوا الْجَمَاعَةَ وَخَالَفُوا الأَئمَّةَ مَعَ الْقُدْرَة عَلَى قتَالهمْ. (فتح الباري: ٢٩١/١٢).

النطق بكلمة الكفر

وقال ابن حجر أيضًا: قَوْلُهُ: فَقَالَ: اعْدلْ يَا رَسُولَ اللَّه وفي روَايَة... فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ رَأَيْتُ الَّذي صَنَعْتَ، قَالَ: وَكَيْفَ رَأَيْتَ؟ قَالَ: لم أرك عَدَلْتَ. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: وَمَنْ يَعْدلُ إذَا لَمْ أَعْدلْ؟ وفي روَايَة: وَمَنْ يُطع اللَّه إذَا لَمْ أُطعْهُ؟ وعند مسلم قَال: أَوَ لستُ أَحَقَّ أَهْل الأَرْض أَنْ أُطيعَ اللَّه؟ وَفي حَديث: عنْدَ مَنْ يُلْتَمَسُ الْعَدْلُ بَعْدي؟ وَفي روَايَة: فَغَضبَ صلى اللَّه عليه وسلم وَقَال: الْعَدْلُ إذَا لَمْ يَكُنْ عنْدي فَعنْدَ مَنْ يَكُونُ؟ وَفي حَديث أَبي بَكْرَةَ: فَغَضبَ صلى اللَّه عليه وسلم حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، وَمنْ حَديث أَبي بَرْزَةَ قَالَ: فَغَضبَ صلى اللَّه عليه وسلم غَضَبًا شَديدًا وَقَالَ: وَاللَّه لاَ تَجدُونَ بَعْدي رَجُلاً هُوَ أَعْدَلُ عَلَيْكُمْ منِّي". فقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب: يَا رَسُولَ اللَّه؛ ائْذَنْ لي فَأَضْربَ عُنُقَهُ..وَفي روَايَة مُسْلم فَقَال خَالدُ بْنُ الْوَليد: دعنَي أقتله. وَوَجْهُ الْجَمْع بَيْنَهُمَا أَنَّ كُلاًّ منْهُمَا سَأَلَ. ثُمَّ رَأَيْتُ عنْدَ مُسْلم... فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه؛ أَلاَ أَضْربُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: لاَ، ثُمَّ أَدْبَرَ عمر، فَقَامَ إلَيْه خَالدُ بْنُ الْوَليد سَيْفُ اللَّه فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه؛ أَضْربُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: لاَ. فَهَذَا نَصٌّ في أَنَّ كُلاًّ منْهُمَا سَأَلَ...

> النبي صلى الله عليه وسلم يراعي المحافظة على سمعة المسلمين ، فلم يقتل من رأى منه وسمع قول الكفر حتى لا يقال : إن محمداً يقتل أصحابه .

وهكذا ترك النبي عليه الصلاة والسلام قتله لظاهر الاسلام مع ما نطق به من كلمة الكفر، ولم يكفره في نفس الوقت فليستفد من هذا الذين يكفرون الناس بالمعصية ويقتلونهم بالشبهة.

وَأَمَّا حَديثُ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو فَإنَّهُ في قصَّة قَسْم وَقَعَ بالْجعرَّانَة منْ غَنَائم حُنَيْن، وَالسَّائلُ في قَتْله عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب جَزْمًا... فَقَال صلى اللَّه عليه وسلم: مَا أَنَا بالَّذي أَقْتُلُ أَصْحَابي.. وَهَذَا لاَ يقتضي تَرْكَ قَتْله مَعَ مَا أَظْهَرَهُ منْ مُوَاجَهَة النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بمَا وَاجَهَهُ، فَيحْتَمل أَن يكون لمَصْلحَة التألف كَمَا فَهمَهُ الْبُخَاريُّ لأَنَّهُ وَصَفَهُمْ بالْمُبَالَغَة في الْعبَادَة مَعَ إظْهَار الإسْلاَم، فَلَوْ أَذنَ في قَتْلهمْ لَكَانَ ذَلكَ تَنْفيرًا عَنْ دُخُول غَيْرهمْ في الإسْلاَم. فتح الباري لابن حجر (٢٩٤-٢٩٢/١٢). بتصرف واختصار.

«وقوله صلى اللَّه عليه وسلم: دَعْهُ، فَإنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتهمْ، وَصيَامَهُ مَعَ صيَامهمْ، يعني أنهم عندهم شدة في العبادة والاجتهاد ليست عند غيرهم حتى وصفهم ابن عباس بقوله:" دخلت على قوم لم أر قوما قط أشد اجتهادا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل (خشنة كركب الإبل) ووجوههم معلمة

مـن آثـار السجود". انتهى. مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٠/١٥٨). ومع هـذا لم تغْن هذه العبادة الكثيرة عن ضلال مذهبهم وفساد معتقدهم.

قَـوْلُـهُ: يـقـرؤون الْـقُـرْآنَ لاَ يُجاوِزُ تَرَاقيَهُمْ: مَعْنَاهُ أَنَّ قَوْمًا لَيْسَ حَظُّهُمْ مِـنَ الْـقُـرْآنِ إلاَّ مُرُورُهُ عَلَى اللِّسَانِ، فَلاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ لِيَصِلَ قُلُوبَهُمْ وليس ذلـك هو المطلوب بل المطلوب تعقله وَتَـدَبُّـرُهُ بِـوُقُـوعـه فِي الْقَلْب. قاله الـنـووي في شرح صحيح مسلم (١٠٥/٦).

متعمقون في الدين وعندهم ضلال مبين

وعنْ أَبي سَعيد: يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، يَمْـرُقُـونَ منَ الدِّين كَمَا يَمْـرُقُ السَّهْمُ...ووَقَعَ في حَديث عَبْد اللَّه بْنِ عَمْرو منْ رِوَايَة مقْسَم: فَـإنَّـهُ سَـيَـكُـونُ لِـهَـذَا شيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الـدِّيـنِ يَمْـرُقُـونَ منْهُ، الحَديثَ؛ أَيْ يَخْرُجُونَ منَ الإسْلاَم بَغْتَةً كَخُرُوج السَّهْم إذا رَمَاهُ رَامٍ قَويُّ السَّاعد فَأَصَابَ مَا رَمَاهُ فَنَفَذَ منْهُ بسُرْعَة بحَيْثُ لاَ يَعْلَقُ بالسَّهْم وَلاَ بشَيْءٍ منْهُ منَ الْمَرْميِّ شَيْءٌ- من دم الصيد- فَـإذَا الْتَمَسَ الـرَّامـي سَهْمَهُ وَجَـدَهُ وَلَمْ يَجد الَّـذي رَمَـاهُ، فَيَنْظُرُ فِي السَّهْمِ لِيَعْرِفَ هَلْ أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، فَإذَا لَمْ يَرَهُ عَلِقَ فيه شَيْءٌ منَ الـدَّم وَلاَ غَـيْرُهُ ظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُصبْهُ، وَالْفَرْضُ أَنَّهُ أَصَابَهُ. وَإلَى ذَلكَ أَشَارَ بقَوْله سَبَقَ (السهم) الْفَرْثَ وَالدَّمَ، أَيْ جَاوَزَهُمَا وَلَمْ يَتَعَلَّقْ فيه منْهُمَا شَيْءٌ بَلْ خَرَجَا بَعْدَهُ... كَذَلكَ هَـؤُلاَءِ لَمْ يَتَعَلَّقُوا بشَيْءٍ منَ الإسْـلاَم... وعند الـطَّـبَريِّ من حَديث أنـس رضي اللَّه عنه: لاَ يَرْجعُونَ إلَى الإسْلاَم حَتَّى يرْتَد السهْم إلَى فُوْقه!!... وَفِي رِوَايَـة عَنْ أَبـي بَـكْـرَةَ: يَأْتيهمُ الشَّيْطَانُ منْ قبَل دينهم. وعَنْ عَليٍّ أَنَّ نَاسًا يَخْرُجُونَ من الدِّين كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ منَ الرَّميَّة ثُمَّ لاَ يَعُودُونَ فيه أَبَدًا. فتح الباري لابن حجر (٢٩٥/١٢).

> مـن صفـات الخـوارج: يَقتلُونَ أَهْلَ الإسْـلاَم وَيَدعُـونَ أَهْلَ الأَوْثَـانِ، يَمرُقونَ مـنَ الدِّين كَمَا يَمرُقُ السَّهْمُ من الرمية.

من علامات النبوة

قوله: علامتهم: رجل إحدى عضديه مثل ثدي المرأة تَدَرْدَر، أو مثل البَضْعَة أي الْقطْعَة من اللَّحْم تَـدَرْدَرُ، وَأَصْلُهُ تَتَدَرْدَرُ وَمَـعْـنَـاهُ تَـتَـحَـرَّكُ وَتَـذْهَـبُ وَتَجيءُ... وَغَايَةُ ذَلكَ أَنَّ فيهمْ رَجُلاً لَهُ عَضُدٌ، لَيْسَ لَهُ ذرَاعٌ، عَلَى رَأْس عَضُده مثْلُ حَلَمَة الثَّدْي عَلَيْه شَعَرَاتٌ بيضٌ... وَقَدْ ذَكَرَ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ للْـخَـوَارج عَلاَمَةً أُخْـرَى، فَفي رِوَايَة مَعْبَد بْن سيرينَ عَنْ أَبي سَعيد قيلَ: مَا سيمَاهُمْ؟ قَالَ: سيمَاهُمُ التَّحْليقُ، وَفِي حَديث أَنَـس عَـنْ أَبـي سَعيد: هُمْ منْ جلْدَتنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بأَلْسنَتنَا، قيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه مَا سيمَاهُمْ؟ قَالَ: التَّحْليقُ. قَوْلُهُ: يَخْرُجُونَ عَلَى حين فُرْقَة منَ النَّاس، أي في وقت افتراق واختلاف، جاء في رِوَايَة أَنَس عَنْ أَبي سَعيد عنْدَ أَبي دَاوُدَ: مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى باللَّه منْهُمْ...قال أبو سعيد: سمعتُ هَذَا منْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَأَشْهَدُ أَنَّ عليًّا قَـتَـلَـهُـمْ...وَحَـضَـرْتُ مَـعَ عَليٍّ يَـوْمَ قَتَلَهُمْ بالنَّهْرَوَان...وعَنْ عَليٍّ رضي اللَّه عنه أَمَرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بقَتْلهمْ، وَلَفْظُهُ: «فَأَيْنَمَا لَقيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ». (فتح الباري لابن حجر: ٢٩٦/١٢).

من صفات الخوارج:

«عَـنْ عَـبْـد اللَّه بْـنِ مَسْعُود رضي اللَّه عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «يَخْرُجُ فِي آخرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ:

١- أَحْدَاثُ الأَسْنَان.

٢- سُفَهَاءُ الأَحْلاَم.

٣- يَـقُـولُـونَ مـنْ خَـيْر قَـوْل النَّاس.

٤- يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقيَهُمْ.

٥- يَمْرُقُونَ منَ الإسْلاَم كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ منَ الرَّميَّة.

٦- فَمَنْ لَقيَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ، فَإنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ عنْدَ اللَّه لمَنْ قَتَلَهُمْ». وصححه الألباني.

وإلى أن نكمل صفات الخوارج التي حددها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم والتي تصل الى قريب من ٢٠ صفة سيئة ، حتى ذلك الحين نلقاكم على خير إن شاء اللَّه رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٨٥)

تابع الواهيات المتكررة في آفات المناظرة (رواية القاصّ الواهي)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه الواهيات التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة المدرسين والطلاب خاصة في هذا العام، حيث إن الأزهر الشريف- حفظه الله من الواهيات والمنكرات- جعل موضوع «آفات المناظرة» لأبي حامد الغزالي من مقررات الصف الثالث الثانوي لعام ١٤٣٦- ١٤٣٧هـ في كتاب «المطالعة والإنشاء» من (ص٤٠-٤٥) في أكثر من مائة سطر، حيث شارك في إعداد هذا الكتاب لفيف من المتخصصين من لجنة إعداد وتطوير المناهج، ونقل الموضوع بتمامه من كتاب «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي، حيث بنى عناصر هذا الموضوع على أحاديث لم يذكر لها تخريجًا ولا تحقيقًا.

إعداد / **علي حشيش**

واللجنة- عفا الله عنا وعنها- لم تقدم تحقيقًا لهذه الأحاديث، ولو أن الأمر اقتصر على أبي حامد الغزالي وكتابه هذا لتركناه فقد مضى عليه ما يقرب من ألف عام حيث ولد عام ٤٥٠هـ بطوس من إقليم خراسان، ولكن الأمر لما أصبح منهجًا يُدرس لطلبة العلم بالأزهر الشريف- حفظه الله- وانتشر في جميع بلاد مصر لانتشار المعاهد بها، كان واجبًا علينا أن نقدم بحوثًا علمية حديثية تليق بمكانة هذه المعاهد، وحتى يستطيع طالب العلم من خلالها أن يقف على درجة هذه الأحاديث من حيث الصحة والضعف، خاصة في هذه المرحلة التي هي من أهم المراحل في الأزهر الشريف.

ولقد تبين مما قدمنا في الحلقة السابقة من البحوث العلمية حول الأحاديث التي خرجناها وحققناها من أحاديث «آفات المناظرة»:

١- أن لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف- حفظه الله- لم تحقق الأحاديث.

٢- بل هناك أحاديث لم تخرجها ولم تحققها، والتي خرجتها كان تخريجها مقتضبًا فضلاً عن عدم تحقيقها.

٣- ولقد بينا الفرق بين التخريج والتحقيق، وأهميته لطلاب العلم خاصة في هذه المعاهد حفظها الله.

٤- وتبين من هذه البحوث العلمية الحديثية من التخريج التام لها ثم التحقيق أن من هذه الأحاديث ما حكم عليه أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله الإمام البخاري بأنه «لا يصح».

وأن منها ما حكم عليه الحافظ العراقي بأنه لم يقف له على أصل. وأقره عليه الحافظ السخاوي.

وفي هذا البحث نواصل التخريج والتحقيق لهذه الواهيات المتكررة في آفات

المناظرة لعل طالب العلم في هذه المعاهد العلمية يقف على بحوث علمية حديثية تليق بمكانة هذه المعاهد بالأزهر الشريف حفظه الله من هذه الواهيات.

أولاً: الحديث الثالث:

«إذا تعلم الناس العلم، وتركوا العمل وتحابوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم».

هذا الحديث أورده أيضًا أبو حامد الغزالي في «الإحياء» (٤٧/١) في كتاب «العلم» باب «آفات المناظرة» تحت آفة «النفاق» بصيغة الجزم فقال: «فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل...» الحديث.

قلت: ولقد نقلته لجنة إعداد وتطوير المناهج من المتخصصين بالأزهر في كتاب «المطالعة والإنشاء» (ص٤٣) المقرر على الصف الثالث الثانوي بالأزهر الشريف هذا العام بصيغة الجزم أيضًا، وخرَّجته في حاشية الكتاب فقالت: «رواه ابن أبي الدنيا ورواه الحسن في مراسيله». اهـ.

قلت: وفي هذا التخريج نظر:

١- فهذا تخريج بغير تحقيق لا يليق بمعاهد علمية في أشد الحاجة إلى التحقيقات العلمية الحديثية حتى يستطيع الطالب أن يعرف درجة الحديث من حيث الصحة أو الضعف خاصة وأن المصنف قد أورده بصيغة الجزم: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» وسبقها حرف «قد» الذي يدخل على الفعل الماضي فيفيد التأكيد، ولقد بينا في التحذير السابق الأثر السيئ للتخريج بغير تحقيق.

٢- قول اللجنة في الحاشية: «الحديث رواه ابن أبي الدنيا» لا يليق بطلبة علم يريدون أن يقفوا على سند هذا الحديث عند ابن أبي الدنيا الذي له أكثر من خمسة وستين مصنفًا، ففي أي مصنفات ابن أبي الدنيا هذا الحديث؟ كما تقتضيه الصناعة الحديثية من التخريج؛ حيث إن اللجنة ذكرت اسم المصنِّف من غير ذكر المصنَّف الذي يستدل به على موضوع الحديث الذي أخرجه الحافظ ابن أبي الدنيا عن شيخه بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- قول اللجنة في الحاشية: «ورواه الحسن في مراسيله»: قلت: هذا عطف على قولهم: «رواه ابن أبي الدنيا» يوهم طالب العلم أن الحديث في مصنف آخر عند الحسن يسمى «المراسيل»، وهذا شيء عجيب ولو رجعت اللجنة إلى «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة» للحافظ الكتاني ص(٦٤) قال: «ومنها كتب في المراسيل ككتاب المراسيل لأبي داود صاحب السنن في جزء لطيف مرتب على الأبواب، ولابن أبي حاتم وهو مرتب على الأبواب أيضًا، ومن أبوابه في أوله باب: ما ذكر في الأسانيد المرسلة أنها لا تثبت بها حجة، ولصلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي العلائي مجلد سماه: «جامع التحصيل في أحكام المراسيل رتبه على ستة أبواب، ولبرهان الدين الحلبي حواشي عليه». اهـ.

٤- وبهذا يتبين أن الحسن البصري لم يصنِّف لنفسه كتابًا سماه «مراسيل الحسن» حتى عند التخريج يقال: «رواه الحسن في مراسيله» كما قالت اللجنة.

٥- بل كما هو مبين من قول الكتاني أن من الذين صنَّفوا في هذا الفن الإمام أبو داود صاحب السنن في كتابه «المراسيل»، ومن هذا يمكن عند التخريج أن نقول: رواه أبو داود في مراسيله.

٦- والحسن البصري من التابعين.

وبرهان ذلك ما قاله الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٦٥/١): «الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار كان يرسل كثيرًا ويدلس، قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول: حدثنا وخطبنا يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة، وهو رأس أهل الطبقة الثالثة». اهـ.

قلت: والطبقة الثالثة بينها الحافظ ابن حجر في مقدمة «التقريب» فقال: «الثالثة الطبقة الوسطى من التابعين». اهـ.

٧- قال الحافظ العراقي في كتابه «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» (ص٦٣): «المشهور أن المرسل ما رفعه التابعي». اهـ.

لذلك قال تلميذه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤١): «المرسل هو ما سقط من آخره من بعد التابعي».

ثم قال: وصورته: أن يقول التابعي سواء كان كبيرًا أو صغيرًا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا. اهـ.

قلت: وصورته التطبيقية ما أخرجه أبو داود في «المراسيل» (ح١٠٥) قال: حدثنا محمد بن سليمان الأنباري، حدثنا كثير بن هشام، عن عمر بن سليم الباهلي عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حصِّنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع». اهـ.

قلت: ولقد أخرج أبو داود في «المراسيل» من حديث الحسن مرسلاً هذه الأحاديث (ح٢، ١٢، ١٧، ٣٢، ٣٧، ٥١، ١٠٥، ١١٤، ١١٥، ١٣٠، ١٣٣، ١٦٥، ١٧٦، ١٩٩، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢١، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٧٤، ٢٩٨، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٧، ٣٧٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٥، ٤٠٠، ٤٠٥، ٤١٦، ٤٥٣، ٤٨٤، ٤٩٧، ٥١٤، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٣٥).

قلت: وهذا «المدخل إلى المرسل» من مقتضيات البحوث العلمية الحديثية وموجباتها أمام هذا التخريج الذي خرجته لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف للمعاهد الأزهرية، والتي انتشرت في بلاد مصر، ولكن يقف طالب العلم في مرحلة من أهم المراحل على حقيقة تخريج اللجنة لحديث: «إذا تعلم الناس العلم، وتركوا العمل وتحابوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب». الحديث.

وقولهم في الحاشية: «رواه ابن أبي الدنيا، ورواه الحسن في مراسيله». اهـ. ولقد بينا فيما قدمناه آنفًا ما في هذا التخريج من نقص وأوهام؛ مما اقتضى بل أوجب علينا البيان.

ثانيًا: التخريج العلمي والصناعة الحديثية:

الحديث أخرجه الحافظ ابن أبي الدنيا في كتابه «العقوبات الإلهية للأفراد والجماعات والأمم» (ح١٠) قال: «حدثنا عبد الله قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثني صالح المري عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذ الناس أظهروا العلم، وضيعوا العمل، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام، لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم». اهـ.

ثالثًا: التحقيق

الحديث من الواهيات مردود بالسقط في الإسناد والطعن في الراوي.

العلة الأولى: السقط في الإسناد:

حيث جاء الحديث كما هو مبين في التخريج: «عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وبتطبيق حدِّ المرسل، وصورته كما بينا في «المدخل إلى المرسل» آنفًا يتبين أن الحديث مرسل.

فالحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «العقوبات الإلهية» (ح١٠) من حديث الحسن البصري مرسلاً.

وحكم مراسيل الحسن بينها الحافظ العراقي في «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» في شرح نظم (٢٣٧) قال: «ومراسيل الحسن عندهم شبه الريح». اهـ.

قلت: ومن لا دراية له بالصناعة الحديثية يحسب أن هذا المصطلح هين، ولكنه عند أهل الصناعة الحديثية عظيم، يتبين منه أن مرسلات الحسن شبه لا شيء، والسياق الذي ذكر فيه الحافظ العراقي هذا الحكم على مراسيل الحسن يدل على ذلك حيث قال الحافظ العراقي: حديث «حب الدنيا رأس كل خطيئة» لا أصل له من حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا من مراسيل الحسن البصري كما رواه البيهقي في شعَب الإيمان في الباب الحادي والسبعين منه ومراسيل الحسن شبه الريح. اهـ.

قلت: ولقد نقل السيوطي في «التدريب» (٢٠٤/١) قول الحافظ العراقي وأقره. اهـ.

العلة الثانية: الطعن في الراوي: وهناك علة أخرى حيث إن

الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات الإلهية» قال: حدثنا عبد الله قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثني صالح المري عن الحسن مرسلاً. فالعلة هنا صالح المري:

١- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢٧٨٠/٩/٩): «صالح بن بشير بن وادع بن أُبي بن أبي الأقعس القارئ أبو بشر البصري القاصُّ المعروف بالمري من ولد عامر بن حنيفة بن حارثة بن مرة بن الحارث بن عبد القيس: روى عن الحسن البصري وآخرين، روى عنه إسماعيل بن إبراهيم الترجماني». اهـ. قلت: وهذا ينطبق على الإسناد تمام الانطباق.

٢- وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني المتوفى سنة ٢٥٩هـ في كتابه «أحوال الرجال» (٢٠٠): «صالح المري، كان قاصًّا واهي الحديث». اهـ.

٣- وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٦٥): «صالح بن بشير: أبو البشر المري البصري القاص، منكر الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه حيث قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣/٦/١): «نقل ابن القطان أن البخاري قال: كل من قلت فيه منكر الحديث لا تحل الرواية عنه». اهـ. ونقله السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١) وأقره.

٤- وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٣٠٠): «صالح المري: متروك الحديث بصري». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند النسائي له معناه: حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٥- وقال الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٦٠/٤) (٩١٢/٥): «صالح بن بشير أبو بشر المري بصري:

أ- سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي: صالح المري كان قاصًّا واهي الحديث. قلت: والسعدي هو الجوزجاني.

ب- ثم قال ابن عدي: حدثنا ابن أبي عصمة، حدثنا أبو طالب، سألت أحمد بن حنبل عن صالح المري قال: صالح صاحب قصص، يقصُّ على الناس، ليس هو صاحب حديث ولا إسناد ولا يعرف الحديث.

جـ- ثم قال ابن عدي: حدثنا أحمد بن علي المطيري، حدثنا عبد الله الدورقي، قال يحيى: صالح المري ليس بشيء.

قلت: ثم أخرج له ثمانية عشر حديثًا منكرًا، ثم قال: «ولصالح غير ما ذكرت وهو رجل قاصّ حسن الصوت من أهل البصرة وعامة أحاديثه التي ذكرت والتي لم أذكر منكرات ينكرها الأئمة عليه وليس هو بصاحب حديث، وإنما أتي من قلة معرفته بالأسانيد والمتون». اهـ.

الاستنتاج

نستنتج من هذا البحث أن هذا الحديث الذي أورده أبو حامد الغزالي في كتابه «الإحياء» (٤٧/١) ونقلته لجنة إعداد وتطوير المناهج من المتخصصين بالأزهر في كتاب «المطالعة والإنشاء» (ص٤٣) وخرجته في الحاشية بأنه: «رواه ابن أبي الدنيا، ورواه الحسن في مراسيله»، قد تبين من أقوال أئمة الجرح والتعديل في بحثنا هذا النقص والأوهام حول هذا التخريج فضلاً عن عدم التحقيق الذي تبين منه أن الحديث واه؛ علته قصاص، منكر الحديث، متروك الحديث، واهي الحديث، ليس بشيء، ليس هو صاحب حديث ولا إسناد ولا يعرف الحديث ومع هذا الطعن جاء الحديث مرسلاً من مراسيل شبه الريح.

قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤٧/١): «حديث إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب.. الحديث عند الطبري من حديث سلمان بإسناد ضعيف». اهـ.

قلت: وظننا بلجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف خيرًا، وأنها لا يغيب عنها تخريج الحافظ العراقي لهذا الحديث، ولكنها عدلت عنه لتضعيف العراقي له، ولجأت إلى عزو الحديث إلى ابن أبي الدنيا توهمًا أن فيه الصحة، ولكن هيهات هيهات كما بينا آنفًا، فالإسناد تالف والحديث واه.

والله وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

شبهات المعطلة والأشاعرة بشأن صفات الأفعال.. تدحضها عبارات المثبتين من علماء أهل السنة والجماعة

الحلقة (١٩)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

فعقب نفينا تهمتي التشبيه والتجسيم عن مثبتي صفات الأفعال من أئمة أهل السنة، وعلى رأسهم إمام المذهب أبي الحسن الأشعري، وذلك عن طريق سوق عباراتهم في نفيهما عن تلك الصفات وغيرها، من المهم أن نعرف أن أصل ذلك عند الأشعري وغيره من أئمة السلف ممن ذكرنا وممن لم نذكر: قول الله تعالى: (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا) طه/١١٠) وقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) الشورى/١١) وقوله: (وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ) الإخلاص/٤).. وعليه فما تضافر عليه المتكلمة من ترسيخ قاعدة أن (الاشتراك في الاسم يوجب الاشتباه في معناه)، والتي بموجبها تم تأويل كل ما عدا صفات: (القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام)، يَرُدُّه تضافر أهل السنة المثبتين على نقض هذه القاعدة، ومن ثم كان نفيُ التشبيه لديهم غيرَ مستلزم لنفي الصفات، ذلك أنه ثبت بالعقل الصريح والنقل الصحيح أن الله لا يصف نفسه إلا بكل كمال، وأنه أحق بالكمال من كل ما سواه، وأنه يجب أن تكون القوة كلها له وكذا العزة والعلم والقدرة والكلام وسائر صفات الجمال والجلال، على ما دل عليه قول الله تعالى: (أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) (البقرة: ١٦٥)، وقوله: (إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) (يونس: ٦٥).. كما قام البرهان السمعي والعقلي على أنه يمتنع أن يشترك في الكمال التام اثنان، وأن الكمال التام لا يكون إلا لواحد هو الله، فلو أنك مثلاً فرضت جمال الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم قد اجتمع لشخص واحد منهم، ثم كان الخلق كلهم على جمال ذلك الشخص، لكان نسبته إلى جمال الرب دون نسبة سراج ضعيف إلى جِرْم الشمس، وكذلك قوته سبحانه وعلمه وسمعه وبصره وكلامه وقدرته ورحمته ووجوده وسائر صفاته، وهذا

> ”نفي التشبيه عند أهل السنة غير مستلزم لنفي الصفات.“

مما دلت عليه آياته الكونية والسمعية، وأخبرت به رسله كما في الصحيح عنه: (.. حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه).

فإذا كانت سبُحات وجهه الأعلى لا يقوم لها شيء من خلقه، ولو كشف حجاب النور عن تلك السبحات لأحرق العالم العلوي والسفلي، فما الظن بجلال ذلك الوجه الكريم وعظمته وكبريائه وكماله وجلاله وجماله؟، وإذا كانت السموات مع سعتها وعظمتها يجعلها على إصبع من أصابعه التي تليق بذاته، والأرض على إصبع والبحار على إصبع والجبال على إصبع، فما الظن باليد الكريمة التي هي صفة من صفات ذاته؟..

وإذا كان يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات بأقطار الأرض والسموات فلا تشتبه عليه ولا تختلط عليه ولا يغلطه سمع عن سمع، ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء تحت أطباق الأرض في الليلة الظلماء، ويعلم ما تسره القلوب وأخفى منه، ولو كان البحر المحيط بالعالم مداداً ويحيط به من بعده سبعة أبحر كلها مداد، وجميع أشجار الأرض أقلام يُكتب لها، لنفدت الأقلام والبحار وما ينفد كلامه، فكيف يُظن بأن مجرد اشتراك الخالق والمخلوق في ألفاظ القوة والعزة والجمال والسمع والوجه والإصبع واليد والبصر..إلخ يوجب الاشتباه في معانيها؟.

> ليس مجرد اشتراك الخالق والمخلوق في ألفاظ: القوة والعزة والجمال والسمع والبصر إلخ .. يوجب الاشتباه في معانيها .

دحض فرية الأشاعرة في مسألة: (الاشتباه في الألفاظ وأنه مستلزم لنفي الصفات).. بأدلة العقل:

وفي إطار ترسيخ المثبتين لقاعدتهم القاضية بأن (نفي التشبيه غير مستلزم لنفي الصفات)، لم يكف أهل السنة عن ترداد قاعدة: أن الألفاظ التي تستعمل في حق الخالق والمخلوق لا تخرج عن أن تكون: إما مقيَّدة بالخالق بأن تضاف إليه مثلاً كاستوائه سبحانه ومجيئه فيجب أن تكون حقيقة بحقه، أو بالمخلوق كاستواء زيد على دابته ومجيئه بها فيجب أن تكون حقيقة بحقه، أو تُجرَّد عن كلتا الإضافتين وتوجد مطلقة فيجب أن تكون حقيقة بحقهما كلٍ بحسبه وبما يليق به، ويستعان بمعونة القرائن والسياقات على تمييز ما لكل.. وأن كل ما فعله جهم وأتباعه هو أنه خرج عما اقتضته هذه القسمة العقلية وارتضاه عامة العقلاء فجعل جهة كون الصفات حقيقة: تقيدها بالمخلوق وفقط، فاستلزم كلامه أن تكون مجازاً بحق الخالق سبحانه فوقع في التناقض والتحكم المحض.. والواقع ولغة التخاطب تشهدان بصدق ما اقتضته القسمة العقلية وكذب ما فاه به جهم، ذلك أن لفظ (اليد) مثلاً لم تضعه العرب ليد الإنسان وحده وإنما وضعوه ليد الطائر والحيوان والحشرة، وكذا الوجه والسمع والعين والبصر والنزول والمجيء.. إلخ، فمن لم يفرق بين ما لكل من خصائص هذه الصفات، ولا يعتدّ بنسبة كلٍ إلى ما يضاف إليه منها، كان - بحق - مكابراً جاهلاً، وإذا كان أمره كذلك في الحكم على المخلوقات، فما الظن بما يقع منه من تجاهل لما بين المخلوق والخالق جل جلاله؟!.. ولابن القيم باع طويل وكلام نفيس في ترسيخ هذه المعالم في (مختصر الصواعق) لا يسوغ لمتبحر في هذه القضايا أن يتجاهله، فليرجع إليه من أراد الاستزادة.

وما ذكرناه آنفاً هو موضع اتفاق بين جميع أهل السنة دون متكلمة الأشاعرة للأسف، فإن نفي صفات الله بزعم إيهامها التشبيه أو التجسيم - على ما أفاده شارح العقيدة الطحاوية ص ٥١ وغيرها - "موضع اضطرب فيه كثير من النظار؛ حيث توهموا أن الاتفاق في مسمى هذه الأشياء يوجب أن يكون الوجود الذي للرب كالوجود الذي للعبد، وأصل هذا الخطأ والغلط هو: توهمهم

أن هذه الأسماء العامة الكلية، يكون مسماها المطلق الكلي، هو بعينه ثابتاً في هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك.. فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقاً كليًا، بل لا يوجد إلا معينًا مختصًا، وهذه الأسماء إذا سُمي الله بها كان مسماها معينًا مختصًا، فإذا سُمي بها العبد كان مسماها مختصاً به، فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشركه فيه غيره من الموجودات الأخرى، فكيف بوجود الخالق؟" ا.هـ من كتاب (مدخل إلى عقيدة التوحيد) د. خضر سوندك ص ١٤٠.

وبيانه على ما نص ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص ٤٠٨: "أن وجود العبد، هو كما يليق به، ووجود الباري تعالى كما يليق به، فوجوده تعالى يستحيل عليه العدم، ووجود المخلوق لا يستحيل عليه العدم.. وما سَمّى به الرب نفسه وسَمّى به مخلوقاته، مثل (الحي) و(العليم) و(القدير)، أو سَمّى به بعض صفاته كـ (الغضب) و(الرضا)، وسَمّى به بعض صفات عباده، هو كذلك.. فنحن نعقل بقلوبنا معاني هذه الأسماء في حق الله وأنه حق ثابت موجود، ونعقل أيضاً معاني هذه الأسماء في حق المخلوق، ونعقل أن بين المعنيين قدراً مشتركاً، لكن هذا المعنى لا يوجد في الخارج مشتركاً وإنما معيناً مختصاً، فيَثبتُ في كل منهما على ما يليق به".

> **شبهة النفي: رد وتكذيب لما جاء به الرسول، وشبهة التشبيه: غلو ومجاوزة للحد فيما جاء به، وتشبيه الله بخلقه كفر.**

ومما سبق يُعلم أن اتخاذ الأشاعرة من صفة (مخالفته تعالى للحوادث) ذريعة لنفي صفات الأفعال والصفات الخبرية بزعم أنها موهمة للتشابه، واستدلالهم العقلي بأن لو كان مماثلاً للحوادث لكان حادثاً مثلها وكونه حادثاً محال فبطل ما أدى إليه، لا حجة لهم فيه؛ لكون صفات الفعل والخبر هي الأخرى وبموجب الشرع ينسحب عليها قوله تعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، ولكونهما بموجب العقل مخالفةً للحوادث ومنفياً عنها كذلك – وبالبداهة – مشابهة المخلوقات.

والحق أن الزعم بأن (ورود صفات لله التي جاءت ألفاظها متعلقة بالمخلوقين، مستلزم للتشابه بين الخالق والمخلوق)، وبأن (نفي التشبيه عن الله مستلزم لنفي صفاته) – وهو ما تذرع به المعتزلة والجهمية والخوارج والشيعة وتبعهم فيه أهل الكلام ومتأخرو الأشاعرة، لنفي استوائه تعالى وفوقيته على عرشه، ومن وراء ذلك سائر صفاته تعالى الخبرية والفعلية، بما يتضمنه ذلك من تكذيب كلام الله وحديث رسوله وآثار الصحابة وتابعيهم إلى يوم الدين – هي أحد شبهتين عظيمتين وقع فيهما المخالفون.

ونوَّه عنهما ابن أبي العز في شرحه للطحاوية ص ١٥٦ قائلاً: "والشُّبهة التي في مسألة الصفات: نفيها وتشبيهها"، قال: "وشُبهة النفي أردأ من شبهة التشبيه، فإن شبهة النفي: رد وتكذيب لما جاء به الرسول، وشبهة التشبيه: غلو ومجاوزة للحد فيما جاء به، وتشبيه الله بخلقه كفر فإن الله تعالى يقول: (ليس كمثله شيء)، ونفي الصفات كفر فإن الله تعالى يقول: (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) الشورى/١١)"، وإذا كان هذا الضرب من التشبيه وهو تشبيه الخالق بالمخلوق هو داء هذه الأمة ما بين متلبس به فواقع فيه أو ناف على إثره للصفات وما بين مَدعيه على غيره، فإن الضرب الثاني منه وهو تشبيه المخلوق بالخالق كان داء الأمم الأخرى كعبّاد المسيح وعزير والشمس والقمر والأصنام والملائكة والنار والماء والعجل والقبور والجن وغير ذلك، وقد أرسل الله رسوله صلي الله عليه وسلم لنبذ هذا وذاك

ولأجل الدعوة إلى عبادة الله وحده والتعرف عليه من خلال أسمائه وصفاته.

دحض أئمة السلف شبهات مدعي التشبيه والتجسيم على أهل السنة:

وفي ترسيخ معنى ما تضافر عليه أئمة السلف في بيان حقيقة المشبهة والمجسمة وأن نفي التشبيه والتجسيم لا يستلزم نفي الصفات، يقول الحافظ أبو عمر الطلمنكي ت٤٢٩هـ، كما في العلو: "إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، فقد قال قوم من المعتزلة والجهمية: لا يجوز أن يُسمَّى الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة، ويسمى بها المخلوق، فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه.. فإن سئلوا: ما حملهم على هذا الزيغ؟ قالوا: الاجتماع على التسمية يوجب التشبيه، قلنا: هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها، لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه لا يحصل بالتسمية، وإنما بتشبيه الأشياء بأنفسها أو بهيئات فيها، كالبياض بالبياض والسواد بالسواد، والطويل بالطويل والقصير بالقصير، ولو كانت الأسماء توجب اشتباهاً لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها وعموم تسمية الأشياء به، فنسألهم: أتقولون إن الله موجود؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: يلزمكم على دعواكم أن يكون مُشْبهاً للموجودين، وإن قالوا: موجود ولا يوجب وجود الاشتباه بينه وبين الموجودات، قلنا: فكذلك هو: حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم.. يعني: ولا يلزم من ذلك اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات"، وهذا هو.

> ” ولو كانت الأسماء توجب اشتباهاً لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها. “

ويقول أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) في (أصول الدين) ص١٠٩: "المسألة الثالثة عشرة من هذا الأصل في تأويل الوجه والعين من صفاته: اختلفوا في هذه المسألة فزعمت المشبهة أن لله وجهاً وعيناً كوجه الإنسان وعينه".. وقال في المسألة التي تليها:

"تأويل اليد المضافة إلى الله تعالى: زعمت المشبهة أن يدي الله جارحتان وعضوان فيهما كفان وأصابع ككفي الإنسان وأصابعه، وزعم بعض القدرية أن اليد المضافة إليه بمعنى القدرة، وهذا التأويل لا يصح على مذهبه مع قوله: إن الله تعالى قادر بنفسه بلا قدرة، وزعم الجبائي أن اليد المضافة إليه تعالى بمعنى النعمة، وهذا خطأ لأن الله أخبر أنه خلق آدم بيديه والنعمة مخلوقة، والله لا يخلق مخلوق بمخلوق، ولأن الله تعالى خص آدم بهذه الخاصية، ولا يجوز عند الجبائي تخصيص بعض المكلفين بنعمة دون بعضهم، فبطل تأويله من هذين الوجهين".. إلى أن قال: "واختلفوا في تأويل قوله تعالى: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) طه/٥)، فزعمت المعتزلة أنه بمعنى استولى.. وهذا تأويل باطل، لأنه يوجب أنه لم يكن مستولياً عليه قبل استوائه عليه، وزعمت المشبهة أن استواءه على العرش بمعنى كونه مماساً لعرشه من فوقه، وأبدلت الكرَّامية لفظ المماسة بالملاقاة، وزعم بعضهم أنه لا يفضل منه على العرش شيء.. وزعم آخرون أنه أكبر من العرش، وأنه لو خلق عن يمين العرش وعن يساره عرشين آخرين كان ملاقياً بجميعها من فوقها بلا واسطة، وهذا يوجب أن يكون كل عرش كبعضه فيكون متبعضاً"، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.. وقال - رحمه الله - في (الفرق بين الفرق) ص ٢١٤: "اعلموا أسعدكم الله - أن المشبهة صنفان: صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره"، ثم شرع في بيان فرقهم.

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نبينا (صلى الله عليه وسلم) هو القدوة الحسنة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد:

فإن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة التي ينبغي لكل مسلم أن يقتدي بها في أقواله وأفعاله ليسعد في الدنيا والآخرة.

إعداد/ **صلاح نجيب الدق**

يقول الله تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: ٢١).

قال الإمامُ ابن كثير(رحمه الله): هَذِه الآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ في التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ في أَقْوَاله وَأَفْعَاله وَأَحْوَاله؛ وَلِهَذَا أمَرَ النَّاسَ بِالتَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، في صَبْره وَمُصَابَرَته وَمُرَابَطَته وَمُجَاهَدَته وَانْتِظَاره الْفَرَجَ مِنْ رَبِّه، عَزَّ وَجَلَّ،صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلَامُهُ عَلَيْه دَائمًا إلَى يَوْم الدِّين؛وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى للَّذين تَقَلَّقُوا وَتَضَجَّرُوا وَتَزَلْزَلُوا وَاضْطَرَبُوا في أَمْرهمْ يَوْمَ الأَحْزَاب: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رَسُول اللَّه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) أَيْ: هَلاَّ اقْتَدَيْتُمْ بِه وَتَأَسَّيْتُمْ بِشَمَائله؟ (تفسير ابن كثير ج٩ صـ: ٣٩١).

(١) نبينا صلى الله عليه وسلم القدوة في العبادة:

١- عَنْ عَائشَةَ رَضيَ اللَّه عَنْهَا أَنَّ نَبيَّ اللَّه صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُومُ منْ اللَّيْل حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقَالَتْ عَائشَةُ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّه وَقَدْ غَفَرَ اللَّه لَكَ مَا تَقَدَّمَ منْ ذَنْبكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلاَ أُحبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا، فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالسًا فَإذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ. (البخاري حديث٤٨٣٧، ومسلم حديث٢٨٢٠).

٢- عنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَة فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فَقُلْتُ يَرْكَعُ عنْدَ الْمائَة ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ: يُصَلِّي بهَا في رَكْعَة فَمَضَى فَقُلْتُ يَرْكَعُ بهَا ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عمْرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً إذَا مَرَّ بآيَة فيهَا تَسْبيحٌ سَبَّحَ وَإذَا مَرَّ بسُؤَال سَأَلَ وَإذَا مَرَّ بتَعَوُّذ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظيم فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا منْ قيَامه ثُمَّ قَالَ: سَمعَ اللَّه لمَنْ

حَمدَهُ ثُمَّ قَامَ طَويلاً قَريبًا ممَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجدَ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِه. (مسلم حديث٧٧٢).

٣- عَن عبد اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ. (مسلم حديث: ٢٧٠٢).

٤- عَنْ عبد الله بْنِ عُمَرَ قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. (حديث صحيح) (صحيح أبي داود للألباني حديث: ١٣٤٢).

(٢) نبينا صلى الله عليه وسلم
القدوة في الصبر على البلاء:

١- عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ(أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ) (البخاري حديث: ٣٨٥٦).

٢- عَنْ عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالأَمْسِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلاَ جَزُورِ بَنِي فُلاَنٍ فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ قَالَ فَاسْتَضْحَكُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ. (البخاري حديث ٥٢، ومسلم حديث ١٧٩٤).

٣- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاَثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلاَلٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلاَّ شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلاَلٍ. (حديث صحيح) (صحيح الترمذي للألباني حديث٢٠١٢).

(٣) نبينا صلى الله عليه وسلم
القدوة في الزهد:

١- عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم. (البخاري حديث٥٤١٦، ومسلم حديث٢٩٧٠).

٢- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَدَمٍ وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ (البخاري حديث٦٤٥٦).

٣- عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ يَخْطُبُ قَالَ ذَكَرَ عُمَرُ مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنْ الدُّنْيَا فَقَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ صلى الله عليه وسلم يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلاً (رديء التمر) يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ. (مسلم حديث٢٩٧٨).

٤- عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا أَكَلَ آلُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ إِلاَّ إِحْدَاهُمَا تَمْرٌ. (البخاري حديث ٦٤٥٥).

(٤) نبينا صلى الله عليه وسلم
القدوة في العفو:

١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ نَجْدٍ فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا قَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قُلْتُ اللهُ فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا قَالَ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (البخاري حديث ٤١٣٩).

٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ

عَنْهُ أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: أَلاَ نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: لاَ. فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (البخاري حديث ٢٦١٧).

٣- لما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة، اجتمع له أهلها عند الكعبة ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ. (سيرة ابن هشام جـ٤ صـ٤١٢).

(٥) نبينا صلى الله عليه وسلم

القدوة في العدل:

١- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا. (البخاري حديث ٣٤٧٥/ومسلم حديث١٦٨٨).

٢- عن جابر بن عبد الله أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال (وذلك في حجة الوداع) ورِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ. (مسلم حديث ١٢١٨).

(٦) نبينا صلى الله عليه وسلم

القدوة في الشجاعة:

١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا. قَالَ: وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ. قَالَ: وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ (أي معروف بالبطء والعجز وسوء السير). (مسلم حديث ٢٣٠٧).

٢- عن الْبَرَاءِ قال: «كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ(القتال) نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم» (مسلم حديث١٧٧٦).

(٧) نبينا صلى الله عليه وسلم

القدوة في الوفاء:

١- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ» (مسلم حديث ١٧٨٧)

٢- عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: بَعَثَتْنِي قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُلْقِيَ فِي قَلْبِي الإِسْلاَمُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي وَاللهِ لاَ أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لاَ أَخِيسُ(أي أنقض) بِالْعَهْدِ وَلاَ أَحْبِسُ الْبُرُدَ(حامل الرسالة)، وَلَكِنِ ارْجِعْ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي فِي نَفْسِكَ الآنَ فَارْجِعْ». قَالَ: فَذَهَبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمْتُ. (حديث صحيح) (صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٣٩٦).

٣- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ:

إنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لي مِنْهَا وَلَدٌ. (البخاري حديث: ٣٨١٨).

(٨) نبينا صلى الله عليه وسلم القدوة في الكرم:

١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. (مسلم حديث ٢٣٠٨).

٢- عن أنس قَالَ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلامِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ قَالَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لا يَخْشَى الْفَاقَةَ (مسلم حديث٢٣١٢).

(٩) نبينا صلى الله عليه وسلم القدوة في تكريم المرأة واحترام رأيها:

١- عَنْ خَنْسَاءَ بِنْتِ خِذَامٍ الأَنْصَارِيَّةِ أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهِيَ ثَيِّبٌ(أي تزوجت قبل ذلك) فَكَرِهَتْ ذَلِكَ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَرَدَّ نِكَاحَهَا. (البخاري حديث ٥١٣٨).

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ وَلاَ تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ قَالُوا كَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ. (البخاري حديث ٥١٣٦، ومسلم حديث ١٤١٩).

٣- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ فِي حجة الوداع: اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. (مسلم حديث: ١٢١٨).

٤- عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ قَالَتْ: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عامَ الفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟»، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ»، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلاً قَدْ أَجَرْتُهُ فُلاَنُ بْنُ هُبَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ»، قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ: وَذَلِكَ ضُحًى. (البخاري حديث: ٣١٧١، ومسلم حديث: ٣٣٦).

(١٠) نبينا صلى الله عليه وسلم القدوة في معاملة غير المسلمين:

١- عَنْ أنس بن مالك أَنَّ غُلامًا مِنْ الْيَهُودِ كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ وَهُوَ بِالْمَوْتِ فَدَعَاهُ إِلَى الإِسْلامِ فَنَظَرَ الْغُلامُ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ فَأَسْلَمَ ثُمَّ مَاتَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنْ النَّارِ. (حديث صحيح) (مسند أحمد جـ٢١ حديث ١٣٣٧٥).

٢- عن صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ أَخْبَرَهُ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (حديث صحيح) (صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٦٢٦).

(١١) نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في بيته:

١- عَنْ الأَسْوَدِ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ. (البخاري حديث ٦٧٦)

٢- عَنْ عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا قَالَتْ نَعَمْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ. (حديث صحيح) (مسند أحمد جـ٤٢ حديث٢٥٣٤١).

(١٢) نبينا صلى الله عليه وسلم

القدوة في التواضع:

١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى غِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ. (مسلم حديث٢١٦٨).

٢- عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم «يَأْتِي ضُعَفَاءَ(فقراء) الْمُسْلِمِينَ، وَيَزُورُهُمْ وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ». (حديث صحيح) (صحيح الجامع للألباني حديث ٤٨٧٧).

٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «يَجْلِسُ عَلَى الأَرْضِ، وَيَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ وَيَعْتَقِلُ(يحلب) الشَّاةَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ عَلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ» (حديث صحيح) (صحيح الجامع للألباني حديث ٤٩١١).

٤- عن الْبَرَاءِ بن عازب قال: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ وَلَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ: وَالله لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا. إِنَّ الْمَلاَ قَدْ أَبَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا وَيَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ. (مسلم حديث١٨٠٣).

(١٣) نبينا صلى الله عليه وسلم
القدوة في تربية الشباب:

روى أحمدُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: ادْنُهْ. فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ: لاَ وَالله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قَالَ: لاَ وَالله يَا رَسُولَ الله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ: لاَ وَالله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لاَ وَالله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لاَ وَالله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. (حديث صحيح) (مسند أحمد ج٥ص ٢٥٦حديث ٢٢٢٦٥).

(١٤) نبينا صلى الله عليه وسلم
القدوة في الإيثار:

روى البخاري عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ قَالُوا الشَّمْلَةُ قَالَ نَعَمْ قَالَتْ نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لأَكْسُوَكَهَا فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ فَحَسَّنَهَا فُلاَنٌ فَقَالَ اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا قَالَ الْقَوْمُ مَا أَحْسَنْتَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لاَ يَرُدُّ قَالَ إِنِّي وَالله مَا سَأَلْتُهُ لأَلْبَسَهُ إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي قَالَ سَهْلٌ فَكَانَتْ كَفَنَهُ. (البخاري حديث ١٢٧٧).

(١٥) نبينا صلى الله عليه وسلم
القدوة في الرفق بالناس:

١- عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ.(البخاري حديث٢٢٠).

٢- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ (البخاري حديث ٧٠٩/مسلم حديث٤٧٠).

٣- عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا. (مسلم حديث١٧٣٢).

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله رَبِّ العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أُصولُ مَكارِمِ الأَخلاقِ وجَوامِعُها

مَآثِرُ الصِّدْقِ وَأَثَرُهُ فِي حَيَاةِ المُسْلِمِينَ

الحلقة الثالثة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فما يزال حديثنا متصلاً عن الصدق ومآثره وفوائده، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ **د. عماد عيسى**

دواعي الصدق:

لكلُ شيءٍ سببٌ داعٍ إليه ومعينٌ عليه، والصدقُ له علاماتٌ وأمورٌ هاديَةٌ للوقوف على عتبةِ بابه ثم الولوجِ إلى ساحتِه ورحابِه، ومن دواعيه ما يلي:

أولاً: الخلوة:

الخلوةُ دواءٌ نافعٌ، وعلاجٌ ناجعٌ لكثيرٍ من الآفات، بَيْدَ أنَّ كثيرًا من الناسِ عن طريقِها لناكبونَ، إذْ فيها راحةٌ من قرناءِ السوءِ، وفيها قلةُ الكلامِ الذي هو بابةُ اللغوِ والزَّلل، وفيها أيضًا مجانبةُ الناس فيما لا ينفعُ وفيما يضرُّ، ثم هي معينةٌ على المحافظة على الأوقات، ومن خَلاَ بنفسه كثيرًا سَهُلَ عليه إدراكُ الصدقِ فإنه لا يتصنَّعُ شيئًا ليس فيه ولا يَدَّعي ما لايستطيعُه - وابنُ آدمَ كما قالِ الحكيم الترمذي-: ضعفٌ ظاهرٌ ودعوى عريضةٌ - فمن تَرَكَ الدَّعوى لم يُحْرمِ الصدقَ بلْ هو منه قابَ قوسينِ أو أدنَى، جمعنا الله - تعالى- على الصادقين في الدنيا والآخرة.

قال ذو النُّون: مَنْ أَحَبَّ الْخَلْوَةَ فَقَدْ تَعَلَّقَ بعَمُود الإِخْلاَص وَاسْتَمْسَكَ بِرُكْنٍ كَبيرٍ مِنْ أَرْكَانِ الصِّدْقِ (الحلية: ٩/ ٣٦٩)

وقال أيضًا: وَمَنْ تَدَرَّعَ بِدرْعِ الصِّدْقِ قَوِيَ عَلَى مُجَاهَدَة عَسْكَرِ الْبَاطِلِ وَاعْتَدَلَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُه (الحلية: ٩/ ٣٨٠)

ثانيا: صحبة الصادقين:

يَا أخَا الإسلام- حفظَكَ الله وَتَولاَّك، وَسَدَّدَكَ وَرعَاكَ- أَجْمِعْ رأيَكَ واحْزِمْ أمرَك على صحبةِ الصادقِ الذي يُسددُك في رأيك ويصوبُك في مَنطقكَ، فإنَّ منْ صَدَقَ سَبَقَ، والصَّادقونَ هم السابقونَ، وهم الصفوةُ في كل زمانٍ، ولهذا تجدهم قلَّةً على مرِّ الأزمَانِ، لأنها خصلةٌ عزيزةٌ، ولا يَلزمُ الصادقين إلا منْ صدقَ، لهذا أمرَ الله تعالى بصحبَتهم فقال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾» التوبة: ١١٩ فالآيةُ تأمرُ بصحبةِ الصادقينَ ليأخذَ من خصالهم ويقتبسَ منْ لَحْظهم ولَفْظهم، لا أن يَكْذبَهم ويَتَّهمَهم ويرميَهم بالنقائص كما هو بينَ الناس شائعٌ، وبينَ الشَّبيبَةِ- منهم خاصةً- ذائعٌ، فكلُّ هذا لا يُقالُ إلا تَخْويفًا، وبخسًا بِحُقوق العبادِ وتطْفيفًا، ومَنْ كَثُر

اتهامُه للناس وعيبُه لهم لا سيَّما الأفاضل منهم فهو المتهمُ، بل إنَّ أكثرَ الناس عيوبًا ونقائصَ أكثرهم اشتغالاً بعيوب الناس فإنَّ العاقلَ من شُغلَ بنفسه فإذا فَرَغَ منها شُغلَ بإصلاحِ غيره وهيهاتَ أن يفرُغَ من نفسه، فاللهم بصرْنا بعيوبنا واشغلْنا بها عن عيوبِ غيرنا.

> إنَّ أكثرَ الناس عيوبًا ونقائصَ أكثرهم اشتغالاً بعيوب الناس فإنَّ العاقل من شُغل بنفسه فإذا فرَغ منها شُغل بإصلاح غيره.

قَالَ عَليَّ بْن عثمان بْن نفيل: قلت لأحمد بْن حنبل: إن أبا قتادة يعني الحراني كان يتكلم في وكيع، وعيسى بْن يونس، وابن المبارك، فقال: من كذَّب أهل الصدق فهو الكذابُ (٢٣/٦٨)

قال سفيان بن عيينة: كان محمد بن المنكدر من معادن الصدق يجتمع إليه الصالحون (الجرح: ٤٢/١، ٢٥٤)

ثالثًا: الطمع في معية الله:

مَنْ أحبَّ أن يكونَ معَهُ الحارسُ الذي لا ينامُ والهادي الذي لا يَضلُّ، فعليْه بالصدق، ومن صدقَ الله، صدقَهُ الله وكانَ معَهُ حفظًا وعنايةً، وصَوْنًا ورعايةً، وكلاءةً وحمايةً.

قَالَ تعالى: « « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ » (التوبة: ١١٩)

« وقال أيضًا « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون « وبين الآيتين تمازج وتداخل بديع فإن الله تعالى أمرَ في الآية الأولى بالتقوى ومعية الصادقينَ، وأخبرَ في الثانية بمعيته للمتقينَ والمحسنينَ.

قال صلى الله عليه وسلم: « احفَظِ الله يحفَظْكَ، احْفَظ اللَّه تَجِدْهُ تُجاهَكَ » رواه الترمذي وأحمد.

قَالَ أَحْمَدُ بنِ الخضر: مَنْ أَحبَّ أَنْ يَكُونَ اللهُ مَعَهُ في جميعِ الأَحْوالِ فَلْيلْزَم الصِّدْقَ فَإنَّ اللهَ مَعَ الصَّادقينَ (الحلية:)

رابعًا: قلة الحرص:

الحرصُ على الدُّنيا مدعاةٌ للكذب لأنَّه يدعُو إلى المراوغة والخداع والاحتيال علىَ النَّاس منْ أجْل تحقيقِ المراد، فضلاً عن الغش والظلم والعُدْوَان. ومن علاماتِ القلب الصادق أنَّ صاحبَه لا يَحْرصُ على الدُّنيا، إذ إنَّ الحرصَ عليها يدعو إلى منافاةِ الصدق بالوقوع في نواقضه.

إنَّ وُلُوجَ الدنيا قلبًا وسُكْنَاهَا إياهُ تجْعَلُه منَ الصدق قَفْرًا يبابًا، ولا يَظُنَّن ظانٌّ أنَّ المرادَ منْ ذلكَ الخروجُ من المال والأولاد فليْسَ هذا بمُراد قطعًا، وإنما المقصودُ عدمُ انشغال المرء بدنياهُ، فإذا حصَّل معاشَهُ وما يُقيمُ حياتَهُ فَرَغَ إلى رَبِّه « فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب » وقد كان نبيُّنا - صلى الله عليه وسلم - وهو القدوةُ لنا عندهُ تسعةُ أبيات ومنْ بَعْده أصحابُه - رضي الله عنهم - كانتْ عندهم أشغالهم من صفق بالأسواق وزرع الأرض لكنهم لم ينشغلوا من ذلك بشيئ عن آخرتهم.

قالَ إبْراهيمَ بنُ أدْهَمَ: « قلَّةُ الْحِرْصِ وَالطَّمع تُورثُ الصِّدْقَ وَالْوَرَعَ، وَكَثْرَةُ الْحِرْصِ وَالطَّمع تورثُ كَثْرَةَ الْغَمِّ وَالْجزَع »

خامسًا: إخفاء العمل الصالح:

مَنْ صَدَقَ في سيره إلى الله لم يُخادعْ نفْسَهُ، ولم يُحبَّ أن يَطَّلعَ أحدٌ على عمله، بلْ يَعدُّ صالحَ العمل عورةً يجتهدُ في سترها وإخفائها، وهَذا هُو حَالُ السلفِ الصالح المقتدَى بهم، فقد كان الرجلُ منهم يُخفي قيامَهُ الليل وصيامَه النهارَ وسائرَ عمله من صدقة ونحوها عن زوجته التي

هي ألصقُ الناس به مبالغةً في الصِّدقِ والإخلاص فلله درهم، وعنده سبحانه جزاؤهم.

قال بعض الصالحين: ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الصِّدْقِ: مُلَازَمَةُ الصَّادِقِينَ، وَالسُّكُونُ عِنْدَ نَظَرِ الْمَنْفُوسِينَ، وَوِجْدَانُ الْكَرَاهَةِ لاطِّلَاعِ الْخَلْقِ عَلَى السَّرَائِرِ اسْتِقَامَةً عَلَى الْحَقِّ سِرًّا وَجَهْرًا، لإِيثَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الحلية: ٩/٣٩٣)

تَرْكُ حبِّ التزين عندَ الناس: بذْرَةُ الكذب خبيثةٌ نكدةٌ، قال تعالى: «وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا» الأعراف: ٧، وكثيرًا ما تَنبُتُ هذه النبتةُ القبيحةُ- حتى تُصبحَ مُخْضَرَّةً- في أرض التَّزَيُّدِ وحُبِّ الثناء والرغبةِ في الشهرةِ، وأصلُ هذه الآفاتِ من حُبِّ التَّزَين وإيثارِ محبةِ الناس والذكرِ عندهم على مَحَبةِ الله والذكرِ عنده في الملأ الأعلى.

قيلَ لشعبةَ: ما بَالُ هَؤلاءِ الذينَ يكذبونَ (أي في الحديث)؟ قَالَ: يُريدُونَ أن يُعَظَّموا بذلك.

ومِنْ أعجبِ ما طالعتُ في مشاهد الصدقِ ما حَكَاه ميمونُ بن أبي شَبيب قَالَ: جلستُ مرةً أكتبُ كتابًا فعرَضَ لي شيءٌ إنْ أنَا كتَبْتُه في كتَابي زيَّنَ كتابي وكنتُ قدْ كَذبتُ، وإنْ أنَا تركتُه كانَ في كتابي بعضُ القُبحِ وكنتُ قد صدقتُ، فقلتُ مرةً أكتبُهُ ومرةً لا أكتبُه، فأجمعتُ رأيي عَلى تركه فتركتُه، فنادَاني منادٍ من جانب البيت (يثبّت اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) (تهذيب الكمال: ٢٩/٢٠٨). فسبحان من يصيب برحمته من يشاء.

> „ الحرصُ علَى الدُّنيَا مدعاةٌ للكذب لأنه يدعو إلى المراوغة والخِدَاع والاحتيالِ على النَّاس. “

أخي:

اصدقْ اليومَ لينفعَكَ الصدقُ غدًا في يوم ينفعُ الصادقينَ صدقُهم، واشترِ نَفسك الْيَوْمِ فَإِن السُّوق قَائِمَةٌ لم تَنْفَضْ، وَالثمنَ مَوْجُودٌ لَمْ يُفقدْ ولم يُرفَضْ، والبَيْعةَ لم تُرَدَّ ولم تُنْقَضْ، والبضائعَ رخيصةٌ وفيرةٌ غيرُ غالية ولا شحيحة، والزمانُ يَسمحُ بكلِّ نفيسةٍ وغالية، والعمرُ فيه بقيةٌ لا تحتمل عَبثًا ولا لاغيَةً، والحالُ جاهزَةٌ ناجزةٌ لا مزجاةٌ ولا عَاجزَةٌ، فَعَجِّل منْ قَبلِ أن يَأتيَ على تلْكَ السُّوقِ والبضائعِ يَوْمٌ لا تَصلُ فيهَا إلَى قَليلٍ ولا كثيرٍ ذَلكَ يَوْمُ التغابن (وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا) (الفرقان: ٢٧- ٢٩).

إذا أنْتَ لم ترحلْ بزادٍ من التُّقى
وأبصرتَ يَوْمَ الْحشْرِ مَنْ قَد تَزَوَّدَا
نَدمتَ علىَ أن لاَ تكونَ كَمثْله
وَأنَّكَ لم تَرْصُدْ كَمَا كَانَ أرْصَدَا

وإن عجزتَ عن شيء من الخيرِ فالجأ إلى الله تعالى واجْأرْ إليه أن يفْتَحَ عليكَ، فإنهُ لا فاتحَ لمَا أغْلَقَ ولاَ مُغلقَ لمَا فَتَحَ، قَالَ تعالى: «مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» (فاطر: ٢).

فإن أعياكَ الأمرُ فلا تيأسْ بلْ قاربْ وسَدِّدْ فإنَّ من لمْ يَجِدْ الماءَ تَيَمَّمَ، ومنْ رأى خَللاً أوْ نَقْصًا تَمَّمَ.

اللهم ألْهمْنَا الصدقَ ونقِّ دواخلَنَا وحَسِّنْ سَرائرَنا وأحْسنْ بَوَاطنَنَا وصَفِّ مَشْرَبَنَا وطَيِّبْ مَطْلَبَنَا، اللهمَّ اجعَلْنا ممَّن شَكَرْتَ مَسْعَاهُ، وجَعَلْتَ الجنَّةَ دَارَهُ ومَثْوَاهُ، اللهمَّ إنَّا نسألكَ في هَذَا الزَّمَان عصمةً من الزيغ والأشر، ونَعوذُ بكَ من العُجبِ والبَطَر، ونَسْتَهْديكَ السَّبيلَ الأرْشَدَ، ونستَجْديكَ الطريقَ الأقصدَ، إنَّكَ بكلِّ جميلٍ كفيلٌ، وأنتَ حسبُنَا ونعمَ الوَكيلُ.

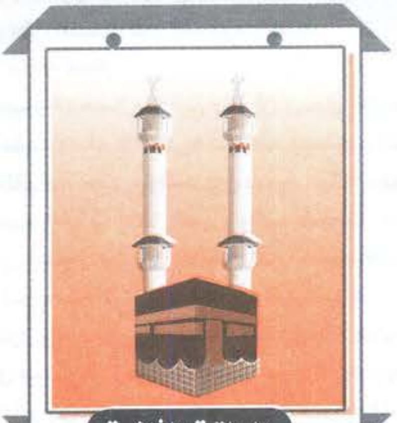

الحلقة الثانية

تذكير المسلمين بأهمية قضاء الدَّيْن

إعداد/ المستشار: أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

الوقفة السادسة: أنواع المدينين:

والمدينون ليسوا سواء، فمنهم الموسر، ومنهم المعسر، ومنهم المماطل، ولكل منهم حكمه وأحكامه:

أولا: المدين الموسر:

تعريفه:

جاء في معجم المعاني: «مدين موسر: مدين مليء وقادر على سداد ديونه في حينها»، ولحث الموسرين على سرعة قضاء ديونهم فقد خصهم الشرع ببعض الخصائص منها:

أ- معية الله للدائن:

عَنْ عَبْد الله بْن جَعْفَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «إنَّ الله مع الدَّائن حتى يَقْضيَ دَيْنَهُ ما لم يكنْ فيما يكرهُهُ اللَّه. قال: وكان عبدُ الله بْنُ جَعْفَر يقولُ لخَازنه: اذْهَبْ فَخُذْ لي بدَيْن؛ فإني أَكْرَهُ أنْ أَبيتَ ليلةً إلاَّ والله مَعي؛ بعدَ إذ سمعْتُهُ من رسولِ الله.» (أورده المنذري في الترغيب والترهيب وصححه الألباني)

ب – أداء الله عنه:

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحد يدّان دينًا يعلم الله منه أنه يريد قضاءه إلاَّ أدّاه الله عنه في الدنيا» (رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان، وصححه الألباني).

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «مَن أخَذَ أموالَ الناس يُريدُ أداءَها أدّى الله عنه، ومَن أخَذَها يُريدُ إتلافَها أتْلَفَهُ الله» (أخرجه البخاري).

ومن القصص العجيبة الدالة على ذلك ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ذَكَرَ رَجُلاً منْ بَني إسْرَائيل، سَأَلَ بَعْضَ بَني إسْرَائيل أنْ يُسْلفَهُ أَلْفَ دينَار، فَقَالَ: ائْتني بالشُّهَدَاء أُشْهدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى باللَّه شَهيداً، قَالَ: فَائْتني بالْكَفيل، قَالَ: كَفَى باللَّه كَفيلاً، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إلَيْه إلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ في الْبَحْر فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَباً يَرْكَبُهُ، وَيَقْدَمُ عَلَيْه للأَجَل الَّذي أَجَّلَهُ، فلَمْ يَجدْ مَرْكَباً، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فيهَا أَلْفَ دينَار، وَصَحيفَةً منْهُ إلَى صَاحبهَا، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضعَهَا، ثُمَّ أَتَى بهَا الْبَحْرَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي تَسَلَّفْتُ فُلاَناً أَلْفَ دينَار، فَسَأَلَني كَفيلاً فَقُلْتُ: كَفَى باللَّه

كفيلاً، فَرَضيَ بِكَ، فَسَألَني شَهيداً، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللّه شَهيداً، فَرَضيَ بِكَ، وَإنّي جَهَدْتُ أنْ أجِدَ مَرْكَباً أبْعَثُ إلَيْه الّذي لَهُ فَلَمْ أقْدر، وَإنّي أسْتَوْدعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْر، حَتّى وَلَجَتْ فيه، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلكَ يَلْتَمسُ مَرْكَباً يَخْرُجُ إلَى بَلَده، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الّذي كَانَ أسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَباً قَدْ جَاءَ بِمَاله، فَإذَا الْخَشَبَةُ الّتي فيهَا الْمَالُ، فَأخَذَهَا لأهْله حَطَباً، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحيفَةَ، ثُمَّ قَدمَ الّذي كَانَ أسْلَفَهُ، وَأتَى بِالألْف دينَار، فَقَالَ: وَاللّه مَا زِلْتُ جَاهداً فِي طَلَب مَرْكَب لآتيَكَ بِمَالكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَباً قَبْلَ الّذي جئْتُ فيه، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إلَيَّ بِشَيْءٍ، قَالَ: أخْبِرُكَ أنّي لَمْ أجدْ مَرْكَباً قَبْلَ الّذي جئْتُ فيه، قَالَ: فَإنَّ اللّهَ قَدْ أدَّى عَنْكَ الّذي بَعَثْتَهُ فِي الْخَشَبَة، فَانْصَرفْ بِالألْف الدّينَار رَاشداً» (أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً، والنسائي وغيره مسنداً، وصححه الألباني) ومعنى زجَّج: أي طلى نقر الخشبة بما يمنع سقوط شيء منه.

فسبحان الله، الذي حفظ المال في لجج البحر، حتى أوصله لصاحبه، وأدى عن المدين الصادق الملتزم بالسداد في ميعاده.

ثانيا: المدين المعسر:

تعريفه:

جاء في معجم المعاني: «المدين المعسر هو غير القادر على أداء دينه ويجد عسرا في ذلك. عاجز عن سداد ديونه في حينها» اهـ.

وجاء في الموسوعة الفقهية في تعريف الإعسار أنه: «عدم القدرة على النفقة، أو عدم القدرة على أداء ما عليه بمال ولا كسب» اهـ.

وضابط الإعسار عند الفقهاء هو ألا يجد المدين وفاءً لديونه من أموال نقدية أو عينية كالعقارات والأراضي ونحوها، وقد حدد مجمع الفقه الإسلامي ضابط الإعسار في قراره المتعلق ببيع التقسيط حيث ورد في القرار: «ضابط الإعسار الذي يوجب الإنظار: ألا يكون للمدين مال زائد عن حوائجه الأصلية يفي بدينه نقدًا أو عينًا»، فالمعسر الذي عنده أموال عينية كالأراضي أو العقارات وهي زائدة عن حوائجه الأصلية، يلزمه بيعها لقضاء ديونه، ولا يلزمه أن يبيع بيته الذي يسكن فيه، أو أرضه الزراعية التي يعتاش منها، أو سيارته التجارية التي يشتغل عليها.

ولعجز المدين المعسر عن سداد دينه، فإن مات وهو عازم على السداد فإن الله يؤدى عنه:

أ- أداء الله عنه:

عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يدعو الله بصاحب الدَّيْن يومَ القيامة حتى يُوقفَ بين يديه فيقالُ: يا ابنَ آدمَ فيم أخذتَ هذا الدَّينَ وفيم ضيَّعتَ حقوقَ الناس فيقولُ: يا ربِّ إنك تعلمُ أني أخذتُه فلم آكل ولم أشرب ولم ألبس ولم أُضيِّعْ ولكن أتى على يديَّ إمَّا حَرَقٌ وإما سَرَقٌ وإما ضيعَةٌ فيقولُ الله عزَّ وجلَّ: صدقَ عبدي أنا أحقُّ من قضى عنك اليومَ فيدعو الله عزَّ وجلَّ بشيءٍ فيضعُهُ في كفَّة ميزانه فترجحُ حسناتُهُ على سيئاته فيدخلُ الجنَّةَ بفضل رحمته» (رواه أحمد وحسنه أحمد شاكر، وضعفه الألباني)

وقد حث الشرع الدائنين على الصدقة على المعسر، ووضع الدين عنه:

ب- استحباب الصدقة على المعسر:

قال تعالى: «وَإن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلَى مَيْسَرَةٍ وَأن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ»

قال القرطبي رحمه اللّه: «ندب الله تعالى بهذه الألفاظ إلى الصدقة على المُعسر وجعل ذلك خيراً من إنْظاره وانتظار سداده» اهـ.

وعن محمد بن كعب القرظي: «أن أبا قتادة كان له على رجل دين، وكان يأتيه يتقاضاه فيختبئ منه، فجاء ذات يوم فخرج صبي فسأله عنه، فقال: نعم هو في البيت يأكل خزيرة، فناداه يا فلان اخرج، فقد أُخْبِرتُ أنك ههنا، فخرج إليه، فقال: ما يغيبك عني؟ قال: إني معسر وليس عندي، قال: آلله أنك معسر؟ قال: نعم، فبكى أبو قتادة، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من نفس عن غريمة أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة» (أخرجه أحمد) وفي رواية: «عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه طلب غريمًا له فتوارى عنه ثم وجده، فقال: إني معسر، قال: آلله، قال: آلله، قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه» (رواه

مسلم).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: «... وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...» (أخرجه مسلم).

وعن أبي هريرة رضيَ الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «كان تاجرٌ يُدايِنُ الناسَ، فإذا رأى مُعسِراً قال لفتيانه: تجاوَزُوا عنهُ لعلَّ الله أن يَتجاوَزَ عنّا، فتَجاوَزَ الله عنه» (متفق عليه واللفظ للبخاري).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تلقت الملائكة روحَ رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: عملتَ من الخير شيئًا؟ قال: لا، قالوا: تذكّر، قال: كنت أداين الناس فآمر فتياني أن ينظروا المعسر، ويتجوزوا عن الموسر، قال الله: تجاوزوا عنه» (رواه البخاري ومسلم).

وفي رواية لمسلم وابن ماجة عن حذيفة أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن رجلاً مات فدخل الجنة، فقيل له: ما كنت تعمل؟ قال: فإما ذَكَرَ وإما ذُكِّرَ، فقال: كنت أبايع الناسَ، فكنت أُنظر المعسرَ، وأتجوز في السّكة، أو في النقد فغفر له» (التجوز والتجاوز معناهما المسامحة في الاقتضاء والاستيفاء وقبول ما فيه نقصٌ يسير) كما قال النووي في شرح صحيح مسلم، وفي رواية للبخاري ومسلم عنه أيضًا قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن رجلاً ممن كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه، فقال هل عملت من خير؟ قال: ما أعلم، قيل له: انظر، قال: ما أعلم شيئًا غير أني كنت أبايع الناس في الدنيا، فأنظر الموسر، وأتجاوز عن المعسر، فأدخله الله الجنة».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان رجل يداين الناس، وكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه، لعل الله عز وجل يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه» (رواه البخاري ومسلم)، وفي رواية للنسائي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن رجلاً لم يعمل خيرًا قط، وكان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك قال الله له: هل عملت خيرًا قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام، وكنت أداين الناسَ، فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عَسُرَ، وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا، قال الله تعالى: قد تجاوزت عنك»، وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حُوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيءٌ، إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرًا، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال الله تعالى: نحن أحق بذلك، تجاوزوا عنه» (رواه مسلم).

ج- استحباب الوضع عن المدين:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سمع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم صوتَ خُصوم بالبابِ عاليَة أصْواتُهما، وإذا أحدُهما يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ ويَسْتَرْفِقُهُ في شَيء، وهو يقول: واللهِ لا أفعلُ، فخرج عليهما رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال: (أين المُتَألِّي على الله لا يفْعَلُ المعْروفَ). فقال: أنا يا رسولَ الله، ولهُ أَيُّ ذلك أحَبَّ.» (رواه البخارى ومسلم).

قال الحافظ في الفتح: «قوله: (سمع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- صوت خصوم بالباب عالية أصواتهم) في رواية " أصواتهما "، وكأنه جمع باعتبار من حضر الخصومة وثنى باعتبار الخصمين، أو كأن التخاصم من الجانبين بين جماعة فجمع ثم ثنى باعتبار جنس الخصم، وليس فيه حجة لمن جوز صيغة الجمع بالاثنين كما زعم بعض الشراح، ويجوز في قوله: " عالية " الجر على الصفة والنصب على الحال.

قوله: (وإذا أحدهما يستوضع الآخر) أي يطلب منه الوضيعة، أي الحطيطة من الدين.

قوله: (ويسترفقه) أي يطلب منه الرفق به. وقوله: (في شيء) وقع بيانه في رواية ابن حبان فقال في أول الحديث " دخلت امرأة على النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالت: إني ابتعت أنا وابني من فلان تمراً فأحصيناه. لا والذي أكرمك بالحق ما أحصينا منه إلا ما نأكله في بطوننا أو نطعمه مسكيناً، وجئنا نستوضعه ما نقصنا "

الحديث، فظهر بهذا ترجيح ثاني الاحتمالين المذكورين قبل، وأن المخاصمة وقعت بين البائع وبين المشتريين ولم أقف على تسمية واحد منهم، وأما تجويز بعض الشراح أن المتخاصمين هما المذكوران في الحديث الذي يليه ففيه بُعد لتغاير القصتين، وعرف بهذه الزيادة أصل القصة.

قوله: (أين المتألي) بضم الميم وفتح المثناة والهمزة وتشديد اللام المكسورة أي الحالف المبالغ في اليمين، مأخوذ من الألية بفتح الهمزة وكسر اللام وتشديد التحتانية وهي اليمين، وفي رواية ابن حبان "فقال: آلى أن لا يصنع خيرا ثلاث مرات فبلغ ذلك صاحب التمر". قوله: (فله أي ذلك أحب) أي من الوضع أو الرفق، وفي رواية ابن حبان: "فقال إن شئت وضعت ما نقصوا إن شئت من رأس المال، فوضع ما نقصوا" وهو يشعر بأن المراد بالوضع الحط من رأس المال، وبالرفق الاقتصار عليه وترك الزيادة، لا كما زعم بعض الشراح أنه يريد بالرفق الإمهال، وفي هذا الحديث الحض على الرفق بالغريم والإحسان إليه بالوضع عنه، والزجر عن الحلف على ترك فعل الخير، قال الداودي: إنما كره ذلك لكونه حلف على ترك أمر عسى أن يكون قد قدر الله وقوعه، وعن المهلب نحوه، وتعقبه ابن التين بأنه لو كان كذلك لكره الحلف لمن حلف ليفعلن خيراً، وليس كذلك بل الذي يظهر أنه كره له قطع نفسه عن فعل الخير، قال: ويشكل في هذا قوله- صلى الله عليه وسلم- للأعرابي الذي قال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص: " أفلح إن صدق " ولم ينكر عليه حلفه على ترك الزيادة وهي من فعل الخير، ويمكن الفرق بأنه في قصة الأعرابي كان في مقام الدعاء إلى الإسلام والاستمالة إلى الدخول فيه فكان يحرص على ترك تحريضهم على ما فيه نوع مشقة مهما أمكن، بخلاف من تمكن في الإسلام فيحضه على الازدياد من نوافل الخير. وفيه سرعة فهم الصحابة لمراد الشارع، وطواعيتهم لما يشير به، وحرصهم على فعل الخير، وفيه الصفح عما يجري بين المتخاصمين من اللغط ورفع الصوت عند الحاكم. وفيه جواز سؤال المدين الحطيطة من صاحب الدين خلافاً لمن كرهه من المالكية واعتل بما فيه من تحمل المنة. وقال القرطبي: لعل من أطلق كراهته أراد أنه خلاف الأولى. وفيه هبة المجهول، كذا قال ابن التين، وفيه نظر لما قدمناه من رواية ابن حبان والله أعلم.» اهـ.

أحكام المدين المعسر:

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: «أوّلاً: مطل المدين المعسر الّذي لا يجد وفاءً لدينه:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّه يمهل حتّى يوسر، ويُترك يطلب الرّزق لنفسه وعياله والوفاء لدائنيه، ولا تحل مطالبته ولا ملازمته ولا مضايقته، لأنّ المولى سبحانه أوجب إنظاره إلى وقت الميسرة فقال: «وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ».

قال ابن رشد: لأنّ المطالبة بالدّين إنّما تجب مع القدرة على الأداء، فإذا ثبت الإعسار فلا سبيل إلى المطالبة، ولا إلى الحبس بالدّين،، لأنّ الخطاب مرتفع عنه إلى أن يوسر.

وقال الشّافعي: لو جازت مؤاخذته لكان ظالماً، والفرض أنّه ليس بظالم لعجزه، بل إنّ ابن العربيّ قال: إذا لم يكن المدين غنياً، فمطله عدل، وينقلب الحال على الغريم، فتكون مطالبته ظلماً، لأنّ الله تعالى قال: «وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ».

وأجاز الحنفيّة ملازمة الدّائن لمدينه المعسر مع استحقاقه الإنظار بالنّصّ.

وقد بيّن المصطفى صلى الله عليه وسلم فضل إنظار المعسر وثوابه عند الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أنظر معسراً أو وضع له أظلّه الله يوم القيامة تحت ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلا ظله».

واختلف الفقهاء في المدين المعسر إذا لم يكن القدر الّذي استحقّ عليه حاضراً عنده، لكنّه قادر على تحصيله بالتّكسب مثلاً، هل يجب عليه ذلك أم لا ؟ قال الحافظ ابن حجر: أطلق أكثر الشّافعيّة عدم الوجوب، وصرّح بعضهم بالوجوب مطلقاً. وفصّل آخرون بين أن يكون أصل الدّين يجب بسبب يعصي به فيجب، وإلا فلا» اهـ.

وللحديث بقية إن شاء الله.

إعلان

مسابقة فضيلة الشيخ :
محمد صفوت نور الدين، (رحمه الله)

يسر جمعية أنصار السنة المحمدية ، فرع بلبيس ، أن تعلن عن الحلقة الثانية عشرة من مسابقة فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين، رحمه الله، في القرآن والحديث والعقيدة ، وهي على النحو التالي :

المستوى الأول :

١- حفظ أربعة وعشرين جزءًا من (سورة الفاتحة إلى آخر سورة فصلت).

٢- تفسير سورة يس.

٣- حفظ مائة حديث من التجريد الصريح من (١١٠١إلى١٢٠٠) مع شرح عشرة أحاديث منها.

٤- دراسة الباب الرابع والخامس والسادس من القول المفيد شرح كتاب التوحيد.

٥- مقال (الصحابة أئمة الهدى) للشيخ صفوت نور الدين رحمه الله.

المستوى الثاني :

١- حفظ القرآن الكريم من قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١إلى آخر القرآن الكريم مع التجويد.

٢- تفسير الربع من قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١

٣- حفظ خمسين حديثًا من مختصر صحيح مسلم للمنذري من (٥٠١ - ٥٥٠) مع شرح عشرة أحاديث منها.

٤- دراسة الباب الثالث والرابع من القول المفيد شرح كتاب التوحيد.

٥- مقال (فضل العلم وأهله) للشيخ صفوت نور الدين رحمه الله.

المستوى الثالث :

١- حفظ ستة أجزاء من أول سورة الشورى إلى سورة الناس مع التجويد.

٢- معاني كلمات من (سورة المرسلات إلى سورة الجن) .

٣- حفظ خمسة وعشرين حديثًا من كتاب رياض الصالحين

٤- حفظ عشرين سؤالاً وجوابهم من كتاب (٢٠٠ سؤال وجواب للشيخ حافظ حكمي)

موعد المسابقة :

سيكون امتحان جميع المستويات بإذن الله تعالى يوم السبت ٦ / ٢ /٢٠١٦م ، ويبدأ الامتحان من الساعة الثامنة صباحاً بمجمع التوحيد بمدينة بلبيس.

الشروط :

١- ألا يزيد عمر المتسابق في المستوى الثاني عن ٣٠ عاماً، والثالث عن ١٨ عاماً.

٢- يدفع المتسابق في المستوى الأول ٣٥جنيهاً ، والثاني ٣٠جنيهاً ، والثالث ٢٥جنيهاً ، كمصاريف إدارية في المسابقة ولا تدخل في الجوائز.

٣- يتم الامتحان في جميع المواد تحريرياً للمستوى الأول والثاني (ما عدا القرآن الكريم)، وأما المستوى الثالث فيكون شفوياً في جميع المواد.

٤- يتم تسجيل الأسماء ودفع الاشتراكات بالمركز العام – الدور السابع – مجلة التوحيد ، أو بمجمع التوحيد بمدينة بلبيس ، على أن يكون آخر موعد لتسجيل الأسماء ودفع الاشتراكات يوم الخميس ٢٨ /١ /٢٠١٦م ولن تقبل أي أسماء بعد هذا الموعد.

٥- يتم تسليم نسخة تشمل منهج المسابقة لكل من يسجل اسمه.

٦- يتم إعلان النتيجة وتوزيع الجوائز في حفل كبير يقام يوم الجمعة ٢٦/٢/٢٠١٦م بعد صلاة العصر بمسجد التوحيد ببلبيس.

جوائز المسابقة قيمة، وجائزة الفائز الأول في المستوى الأول والمستوى الثاني، عمرة إلى بيت الله الحرام.

والله ولي التوفيق.

الآن

المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد

١٤٣٥
التوحيد
١٤٣٥
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

موسوعة علمية
لاتخلو منها مكتبة
ويحتاج اليها
كل بيت

سارع بحجز
نسختك من
المجلد الجديد

الآن أصبحت ٤٣ مجلداً من الموسوعة

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقدّم ؛ فقط ادفع ١٠٠ جنيهاً بعد الاستلام على ثمانية أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزكًى من الفرع .

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٣

☎ 23936517